

شدة فرح الأمريكان بخبر انسحابهم من الفلوجة

بقلم الشيخ :أبوأنس الشامي (رحمه الله)

تم إخراجها باعتناء: ميسرة الغريب

بسم ا الرحمن الرحيم

معركة الأحزاب في الفلوجة

تحت الحصار

يومياتُ مجاهدٍ من الفلوجة

بقلم العالم المجاهد: أبو أنس الشامي "عمر يوسف حديد" رحمه ا تعالى.

تم إخراجها باعتناء: ميسرة الغريب.

(عضو اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين)

- المقدمة:

أبو أنس الشامي "عمر يوسف حديد" عالم مجاهد، ما عاشره أحد إلا أحبه للطيف عبارته، وظرافة إشارته، فكان رحمه ا سمح النفْس، مقَدراً لاختلاف وجهات النظر، وهذه صفةٌ قل أن تجدها اليوم.

وإن مِن حقه على إخوانه في "جماعة التوحيد والجهاد" أن يخْرِجوا نُبذَة تُعرف المسلمين بحياته وجهوده، وعسى أن يكون هذا قريباً.

كان رحمه ا قبيل انتقاله إلى ربه يسعى أن يخْرِج ما كَتَبه من ذكرياتِ معركةِ الأحزابِ في الفلوجة إلى عالم الوجود ليقرأَها الناس يعرفوا شيئاً من الحقائق، وقد سبق من قبلُ أن نُشرت هذه الذكريات على "الإنترنت"، إلا أن الأخطاء الإملائية بل حتى اللغوية والنحوية من أكثر ما يكون مما قد يلْبس على القارئ فَهم العبارة.

والسبب في هذا أنه رحمه ا كان قلمه عالي الكعب، فمفرداته اللغوية خصبة مما أشكل على كثيرٍ ممن كان يكتب له مسوداته على جهاز "الكمبيوتر".

فقمتُ بتصحيح كثيرٍ منها في حياته وبطلبٍ منه رحمه ا ، وها أنا ذا أعيد النظـر فـي ضبط الكلمات وشرح الغامض، وقد أضيف بعض الهوامش البـسيطة التوضـيحية، وقـد يتيسر في المستقبل مزيد تدقيق، فقد فعلتُ هذا على عجل، وليس كل عجلة مذمومة كما في سورة طه (وعجِلْتُ إليك رب لِترضى)... اللهم فاختر ما فيه خير لنا.

فدوري باختصار محصور في المجال اللغوي في ضبطِ الكلمات، وشـرح الغـامض، ووضع إشارات الترقيم، وتصحيح التصحيف أو نحو هذا، من التصرف اليـسير إن شـاء ا .

وأما الهوامش التي وضعها الشيخ بنفسه فوضعت بجوارها "أبو أنس" للتمييز بين ما هو له وما هو لي.

وكتبه: ميسرة الغريب.

إن الحمد نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با من شرور أنفسنا ومن سـيئات أعمالنا، من يهده ا فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشـهد أن لا إلـه إلا ا وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (**يا أيها الَّذِين آمنُوا اتقُوا ا حق تُقَاتِهِ ولا تَموتُن إِلا وأَنْتُم مسلِمون**) (**يا أيها الذين آمنُوا اتقُـوا ا وقُولُـوا قَـولا سدِيدا، يصلِح لَكُم أَعمالَكُم ويغْفِر لَكُم ذُنُوبكُم**) (يا **أيها النَّاس اتقُوا ربكُم الَّذِي خلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِدة وخلَقَ مِنْها زوجها وبث مِنْهما رِجالاً كَثِيراً ونِساء**)

أما بعد:

التاريخ يعيد نفسه، وسنن ا في الآفاق ثابتةٌ ولن تَجِد لسنة ا تبديلاً ولـن تجـد لسنة ا تحويلاً.

في غزوة الأحزاب حوصرت المدينة وأحاط بها العدو إحاطةَ الـسوار بالمعـصم، وجثَم الكفر بكَلْكَلِه[1] فأناخَ[2] حولَها، وهو يروم اجتِثاثَ الدولةِ الفتيةِ الناشئة.

وفي برد شديد وخوف شديد وجوع وعطش ومحنة حـصتِ[3] الأنفـس، وزلزلـت القلوب، ونَجم[4] النفاق، وتَضعضع البنيان، وبلَغَت القلوب الحناجر، وابتُلِي المؤمنـون وزلزلوا زلزالاً شديدا...

تَمايز الصف وانكشفت خَبيئات القلوب، ومغَيباتُ الصدور؛ فأما المنافقون فقالوا: ما وعدنا ا ورسولُه إلا غرورا، ونَعق قائلهم: أما تَرون إلى محمدٍ يعِدنا بكنوز كسرى وقيصر وأَحدنا لا يأْمن على نفسه أن يذهب إلى الخلاء.

وأما المؤمنون فلما رأَوا الأحزاب قالوا: هذا ما وعـدنا ا ورسـولُه وصـدقَ ا ورسولُه، وما زادهم إلا إيماناً وتَسليما.

---

[1] - الكلكل: الصدر من كل شيء.

[2] - أناخ الإبل= أبركها فبركت.

[3] - الحص: ذهاب الشعر، والمراد الضيق والشدة.

[4] - نجم= ظهر.

فتعالَوا بنا نُبحِر في طَي هذا الكلام نَتَمعن ما فيه من هدى ونور..

في العربية يقال: "وعده" إذا منّاه بالخير.. و"أوعده" إذا تَهدده وأَنْذَره.. ومنه مسألة الوعد والوعيد في العقيدة..

وإذا تأملنا مقولة الصحابة في هذه النازلة الكبـرى والمحنـة والـشدة الـضروس وجدناهم قد قالوا: وعدنا ا سبحان ا .

"وعد" كما أسلفنا بالخير والبشائر، وما رآه الصحابة سيلٌ[5] منحـدِر مـن الكفـر المتلاطِم يغِذ[6] السير إليهم شاكي[7] السلاح، والشر يتطاير من عيونه: فهل هذا خير أم شر؟ .. هل هو وعد أم وعيد؟.. وهل يقال: "وعد" أم "أوعد"؟..

لقد فَقِه الصحابة رضي ا عنهم أن الخير لا يأتي إلا بعد الشر، وأن التمكـين لا يكون إلا بعد الفتنة والتمحيص؛ كما قيل للشافعي: أيهما خير للمـؤمن، أن يمكـن أو يبتلى؟ قال: وهل يمكن قبل أن يبتلى؟!

إن سنة ا الكونيةَ القَدريةَ هي الوجه الآخَر لسنتِه الدينية الشرعية فكما أن الفَلَق لا يجيء إلا بعد شَدةِ الغَسق، وكما أن طفلك أيها الإنسان لا يستَهل صارخاً في الحياة إلا بعد طول حملٍ وآلام مخاضٍ وفي بحر من الدماء، فكذلك دولة الإسلام وفجر النصر لا يجيء إلا بعد الفتنة والمحنة والتمحيص وفي بحر من الدماء..

إن دفْقَ الدماء عبر الجراح   يبعث النور في جبين الصباح

---

[5] - كلمة "سيلٌ" خبر لـ "ما".

[6] - أغَذ= أسرع.

[7] - شاكي السلاح أي ذو شوكة وحد في سلاحه.

وحين استَحكَمتْ حلَقات المحنة واشتد لَهيب اللأواء[8]، أَيقَن الصحابة بقرب النـصر ودنُو الظفَر، وحين بلَغَ المكر منتهاه انْفَرج وتَحولَت الكِفةُ وانعكس هبـوب الريـاح وقَرر النبي صلى ا عليه وسلم هذه الحقيقةَ فقال: "اليوم نَغْزوهم ولا يغْزونَنا ".

لقد عِشْنا في الفلوجة معركة الأحزاب بحذافيرها فقد جاءنا الكفار من فوقِنـا ومِـن أسفلَ منا وزاغَتْ الأبصار، وبلَغَت القلوب الحناجر، ونَجم النفاق، وزلزل المجاهدون وتميز الصف ثم كان الفرج... وبعد ذلك النصر...

ومن عجائب أقدار ا أن غزوة الأحزاب استمرت نحو شهر / ٢٧ أو ٢٨ يوما/ وهكذا كانت معركة الأحزاب في الفلوجة حذْو القُذة بالقُذة[9].. فالحمد على توفيقه.

<u>تنويه واعتذار</u>..

جاءت الأحداث على حين غِرة[10]، وتلاحقت فصولها وتتابعت أحداثها وهي تَمـور موراناً سريعا أَذْهلَ العقلاء، فشَق عليهم أن ينَحوا السلاح لِيمتَـشِقوا ناصـية القلـم، ويؤَرخُوا مواقفَ الفداءِ والبطولة..

مهلاً ...! فهذا تفسير وليس بتبرير[11].. ولكن قدر ا ، وما شاء فعل..

لذلك فعذراً إذا لم يكن هناك تأريخٌ دقيقٌ ووصف تفصيلي لما جرى... مع أن مـا جرى عموماً لم يكن إبداعاً عسكرياً بقدر ما كان توفيقاً ربانياً وتثبيتاً إلهياً.. لقد كانت المعركة في غالبها دفاعاً ودفْعاً في معارك في الأزِقةِ والفُروع، وتلك معركة تحتـاج إلى قوة قلبٍ وإقدامٍ وجلَدٍ وشجاعةٍ، وتلك لَعمر ا صـفاتٌ بـريء منهـا الجنـدي الأمريكي براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

8 - اللأواء= المشقة والشدة.

9 - القُذة ريشة الطائر، والمراد أنها نفسها.

10 - الغِرة أي الغفلة.

11- درج الشيخ رحمه ا على استعمال كلمة "التبرير" الشائعة بين الناس والكُتّاب وإن كانت في أصلها اللغوي لا تأتي على المعنى الذي شاع.

ولذلك فسنحاول أن نرسم الإطار العام، ونقفَ عند سـوانح وإيحـاءاتِ الأحـداثِ والمنعطفاتِ الخَطِرةِ مستَلْهمين الدروس والعِبر مع بعض تفاصيل البطولات الفَـذة... ناسبين الفضل لأهل الفضل، وحتى تعرف.. أمتي.. مـن الـذي صـاول وطـاول ونَابل[12].. وفاء لأمتنا وأداء للأمانة وشهادةً بالحق ..... ثم للتاريخ.

توطئة

كلما هممتُ أن أُسطّر تأريخَ أحداثِ المجدِ والفخار في الفلوجـة تَعترينـي رعـشَةٌ ورجفة، وأسمع لقلبي وجِيباً[13] يسري إلى القلم ليتَرجِمه إحجاماً عن الكتابة واستِعجاماً في البيان...

ربما كان ذلك لشعوري بأن تلك الأيام كانت أياماً من أيام ا صنَعها ا على عينه ورعاها بنفسه وخَصها بفضله حتى أثمرت نصراً مؤزراً وفَلَجاً ظاهراً، وخَرقاً لكـل المقاييس العسكرية والموازين الأرضية... وأنى لمثلي على قلة بـضاعتي وقـصور بياني وحداثَةِ تَجربتي في عالم الكتابة[14] أن يبلَّ شفاه القلوبِ العطشى إلى هذا التاريخ بلْه[15] أن يرويها بأخبار العز والسؤدد...

لكن.. مكْره أخاك[16] لا بطَل.. وما حِيلَتي وأنا مضطر إلى ركوب خيـل الكتابـة الجموح، حسبي أني لا آلو جهداً[17] وعلى ا التكْلان وهو المستعان.

---

12 - المراد أن يعرف من كان له أثر فعلي على أرض الواقع.

13 - الوجيب= تحرك القلب تحت أبهره.

14 - هذا تواضع منه رحمه ا ، وإلا فإن مفرداته اللغوية واستعاراته راقية حتى أنها تعلو على فهم كثير من القراء ولا يستلذ بها إلا الفصحاء.

15 - بلْه أي فضلاً عن.

16 - كلمة "أخاك" حقها أن تكون "أخوك" ولكن المثل هكذا نطقته العرب على لغة من يعامل الأسماء الخمسة معاملة المقصور.

17 - لم يألُ جهداً أي لم يدع جهداً و لم يقصر.

لقد شاء الله بحكمته أن يجعل الفلوجةَ معقِلاً لأبطـال العـراق ومهـوى لأفئـدةِ المجاهدين المهاجرين في بقاع الأرضِ الذين ينْشُدون نُصرةَ الدين وإعلاء كلمـةِ الله فيشدُهم إليها حسن الأُحدوثة ويأسِرهم أريج وعبقُ دماء الشهداء في سـاح الفلوجـة، حتى غدت هذه المدينة الهادئة والوادعة كابوساً يؤَرقُ الأمريكـان وفَزاعـةً ترتَعـد فرائِصهم لمجرد ذكر اسمها فضلاً عن التفكير في دخولها.

لا يتَوهمن متوهم أن أمريكا قررت فجأة أن تداهم المدينة ثأراً لكرامة رجالها الذين مثِّلَ بهم وأُحرقوا، بل كان ذلك أمراً بيتَ بليلٍ ودبر بدهاءٍ ومكْرٍ وخُطط لـه قَـبلاً، وحسبك أن تعلم أخي القارئ أن الأربع الذين قتلوا قبل انفراط عِقْد الأحـداث كـانوا ضباطَ أمن ومخططي حرب وأوراقُهم الثبوتية ناطقةٌ بهذا، كما وجِـدتْ بحـوزتهم قصاصاتُ أوراق تتحدث عن خُطة اقتحامٍ وفيها هيكِلية أولية ترسم الخطوطَ العريضةَ وتُحدد الإطار العام لمِثْل هذه الخطة...... وما يوم "حليمة" بِسِر فقد سـرى الحـديث وانتشرت الشائعات عن استقدام ٢٥ ألف من جنود المارينز ليباشروا تصفية الجهـاد في الفلوجة..

كيف جرت الأحداث ؟

قبل الأحداث بنحو عشَرة أيامٍ أو تزيد قليلاً، وبأمر من القائد أبي مصعب الزرقاوي اجتمع المجلس العسكري في المدينة وجرى استعراض الوضع ودراسـةِ المتغيـرات وكانت النتيجة مؤلمة وقاسية.. ووجدنا أنه وبعد عام من الجهاد مازلنا لم نحقق شـيئاً على الأرض ولا يجِد أحدنا شبراً يأوي إليه أو مكاناً يلوذ به آمناً في بيته بين أفـراد سِربِه[١٨]....

لقد كنا نتوارى في نهارنا ونتسلل كالقَطا[١٩] في ليالينا...

---

18 - السرب= النفس، أي آمن في نفسه.

19 - القطا جمع كلمة "قطاة" وهو نوع من الطيور.

هجر جميعنا منازلهم وتَشَرد شَملُ العوائِل.. ودوهِمت البيوتُ وطُورد الأبطـال.. كانت صورةً قاتِمةً، وشَعر جمِيعنا بفَشَلٍ ذَريع.. وكان لا بد من حل سـريع وتغييـرٍ لخُطةِ العمل وقررنا أن نَجعل الفلوجة ملاذا آمناً ودرعاً حـصيناً لأهـل الإسـلام، وأرضاً حراماً ومفَازةً دويةً[20] مهلكة للأمريكان.. فلا يطؤوها إلا خائفين ولا يخرجون منها إلا مذعورين مطاردين يحملون جرحاهم وقتلاهم.

واتفقنا أن تُقَسم المجاميع إلى مفارز تَنْتَشِر في الليل وتَظَل يقْظَى في النهار تَحرس أطرافَ المدينةِ وتَذُود عِن حِماها بالغَدواتِ والعشِيات.

وتَوزع الحِملَ وقُسم العبء على المجاهدين مهاجرين وأنصار.. وارتفـع الـلـواء وخفقت الراية وانطلقت الشرارة وتَحمست النفوس وسرى في القلوب نـشاطٌ وهمـة عجيبةٌ وتَقافَزت الأفئدةُ من الصدور شَوقاً إلى مواجهة الأمريكان وشَغَفاً إلى الحـور والجنان.

انْتَشَرت الخلايا وكمنَت السرايا.. وتقدمت أرتال عسكرية أمريكية تتهادى بخـيلاء وتَمطُو[21] بكبرياء وهي تأمل باستعلاء أن تُداهم البيوت وتعتقل من تشاء، ومـا درتْ أن الردى قد خُبئَ لها بين كُثبان الثرى على أيدي ليوث الشرى[22] وفرسان الورى..

فلَعلَع الرصاص وزغْرد الرشّاش وارتَفَع حداء القَواذِفِ معلِناً بـدء عهـدٍ جديـد، وتَتابعت الأحداثُ وحمِي الوطيس ودارت رحى معارك عنيفةٍ واستمرت إحـداها (٤) ساعات ليلية شاركت فيها الدبابات وحلقت الطائرات وحصل قصف وعصفٌ.. حتى اعترف الكفار بأنها أعنَف معركة جرت منذ سقوط النظام البائد..

---

20 - الدوية والمفازة بمعنى واحد وهي المهلكة.

21 - المراد تسير بكبرياء.

22- الشرى موضع تُنسب إليه الأسد، و"ليوث الشرى" كلمة تقال في الشجعان.

وبدا أن رحم الأحداثِ يحمِلُ مفاجآتٍ جلّى، وأنه قد تَشَكَّلت فيه أَجِنّةُ أحداثٍ جِـسامٍ تنتظر ولادةً قيصرية بعد مخاض عنيف وعبر أنهار الدماء.

وهنا حصلت الزلزلة الكبرى وقاصمة الظهر وأحدوثة العصر.

حين تجرأت سيارتان من نوع جيب بولوج الأرض الحرام[٢٣] ودخـول أَجمـةِ[٢٤] الآساد فتَصدى لهم أُسد الغابِ فأمطَروهم بوابِلٍ من الرصاص ودعوا معهـم الحيـاةَ خَزايا ونَدامى، وفي غَمرة الحِقْدِ الذي تَنامى في القلوبِ على هؤلاء الدخلاء والأعداءِ الذين قَتَلُوا ودمروا وتركوا في القلوب جراحاتٍ لا تَنْدمل، وقَيحاً لا تمحوه الأيام..

قام بعض الناس بإشعال النار والتمثيل بالجثث شفاء لقلوبهم في ثـورة غـضبٍ أَصمتْهم عن سماعِ نِداء الشرع والعقل والنظر في المآلاتِ والعواقبِ كمـا وعلقَـت بعضها على جسر المدينة، وسحِبت إحدى الجثث بحمار وجرت على الطريـق كـان منظراً عجيباً يتكرر فقط للمرة الثانية بعد الصومال في زمن الهيمنة الأمريكية".

وهنا لا بد للقلم من وقفه قصيرة، نذهب فيها بعيدا عن التأريخ والـسرد لنُعـرج خلالها على مسألةٍ فقهية ثم نضع أيدينا على مرضٍ مزمِنٍ وظاهرةٍ عجيبة.. ولنبـدأ بعون ا ..

أما المسالة الفقهية.. فهي مسألة التمثيل بالقتلى وحرقهم فنقول:

مسألة الحرق وردت فيها نصوص واضحة بـالمنع والتحـذير.. منهـا مـا رواه البخاري "باب لا يعذب بعذاب ا ".

فعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: بعثَنا رسول ا صلى ا عليه وسـلم فـي بعثٍ فقال: إن وجدتُم فلاناً وفلاناً لرجلين فأحرقوهما بالنار، ثـم قـال حـين أردنـا

23- ليس المراد هنا المعنى الشرعي الأرض التي حرمها الله، وإنما المعنى اللغوي، أي التي مُنعوا من دخولها.

24- الأجمة الشجر الكثير الملتف، والآجام أحد جموع كلمة "أجمة".

الخروج: " إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا ا فإن وجدتموهما فاقتلوهما" وكذلك روى سعيد بن منصور أن هبار بـن الأسـود أصـاب زينب بنت رسول ا وهي في خدرها فأسقطت فبعث رسول ا سـريةً فقـال: "إن وجدتموه فاجعلوه بين حِزمتَي حطَبٍ ثم أَشْعِلُوا فيه النار" ثم قال: "إني لأستَحِي مـن ا ، لا ينْبغي لأحدٍ أن يعذب بعذاب ا ".. فلم تُصِبه السرية وأصابته نقلة إلى المدينة فأسلم فأُتِي النبي صلى ا عليه وسلم فقيل له: هذا هبار يسب ولا يسب -وكان رجلاً سباباً- فجاءه النبي يمشي حتى وقَفَ عليه، فقال: "يا هبار سب من سبك، يا هبار سب من سبك ". قال ابن حجر: محله إذا لم يتعين التحريق طريقًا إلى الغلبة على الكفـار حال الحرب.. واختلاف السلف في التحريق.. وقال المهلب: ليس هـذا النهـي علـى التحريم بل على سبيل التواضع ويدل على جواز التحريق فعل الـصحابة.. وأكثـر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها..... وأما حديث الباب فظاهر النهي فيه التحريم وهو نسخ لأمره المتقدم (١٤٩/٦) . وذكر سعيد بن منصور أن جنادة بن أبي أمية الأزدي وعبدا بن قيس الفزاري[٢٥] وغيرهما من ولاة البحـر من بعدهم كانوا يرمون العدو من الروم بالنار ويحرقونهم هـؤلاء لهـؤلاء وهـؤلاء لهؤلاء.

"وعن عبدا بن قيس الفزاري أنه كان على الناس في البحر على عهـد معاويـة وكان يرمي العدو بالنار ويرمونه ويحرقُهم ويحرقُونه، وقال: لم يزلْ أَمر المـسلمين على ذلك.".ولعل الوسط في ذلك منع التحريق لشخصٍ بعينه وأما التحريق العام فـلا بأس به، قال ابن حجر: "وهو محمول على من قصد إلى ذلك فـي شـخص بعينـه "(١٤٩/٦).

---

[25] مختلف في صحبته.. والحق أنهم اثنان صحابي وتابعي (تقريب التهذيب:١٤٢). "أبو أنس".

وأما المثْلة:

فقد روى البخاري عن عبد ا بن يزيد عن النبي صلى ا عليه وسلم: " أنه نهى عن النهبى[٢٦] والمثْلَة " وقد قال الزمخشري: لا خلاف في تحـريم المثلـة (الكـشاف ٥٠٢/٢) وهذا النقل متَعقب فقد قال النووي: (قال بعضهم: النهي عن المثلـة نهـي تنزيه وليس بحرام)(صحيح مسلم ٣١١/٧)، وكذلك قال ابن قدامـة: "يكـره نقـل رؤوس المشركين من بلد إلى بلد والتمثيل بقتلاهم وتعذيبهم" (المغني ٥٩٥/١) ، ومع ذلك فقد استَثْنى من ذلك الشرع المقابلةَ والمعاملة بالمِثْل كما قال تعالى: (وإِن عـاقَبتُم فَعاقِبواْ بِمِثْلِ ما عوقِبتُم بِهِ ولَئِن صبرتُم لَهو خَير للصابِرين) (النحل :١٢٦).

كما قاس بعض العلماء على ذلك صوراً أخرى إذا تَحققَ فيها النَّفْع لأهل الإسـلام والإرهاب للأعداء.. جاء في السير الكبير وشرحه "وأكثر مشايخنا على أنه إذا كـان في ذلك كَبتٌ وغَيظٌ للمشركين وفراغُ قلبٍ للمسلمين بأن يكون المقتـولُ مـن قُـواد المشركين أو عظماء المبارزين فلا بأس بذلك" (شرح السير الكبير ١١٠/١)، وهـذا مأخوذ من الإشارة في قوله تعالى: (قَاتِلُوهم يعذبهم اللّه بِأَيدِيكُم ويخْزِهِم وينـصركُم علَيهِم ويشْفِ صدور قَومٍ مؤْمِنِين (١٤) ويذْهِب غَيظَ قُلُوبِهِم ويتُوب اللّه علَـى مـن يشَاء واللّه علِيم حكِيم (١٥)) (التوبة:١٤-١٥)

ونحن وإن كنا نؤثر الوقوف مع النص، ولكن المقصود بيان أوجهِ النظر ومثارات اجتهادِ الأئمةِ في فَهم هذه الأحاديث..

وآن لنا أن نَخْلُص من هذا لِنضع أيدينا على المرض المزمِن والظـاهرةِ العجيبـة فنقول: نحن في زمانٍ ميعتْ فيه الثوابتُ الشرعيةُ وغَدتْ فيه أصولُ المِلة كلأً مباحـاً

---

[26]- النهبى أخذ مال المسلم قهرا جهرا، ومنه أخذ مال الغنيمة قبل القسمة اختطافًا بغير تسوية.

لكل منْتَهب، وكلما نَطَق أهلُ الحق بالحق وثاروا يذُودون عـن حِمـى المِلـة وهـم يستَظْهرون بإجماع الأمة في عصور الهدى والنور.. صـاحت بهـم عمـائم الـشر ودهاقِنَة[27] التزوير فرموهم بالنسر والعواء[28] واتهموهم بالتعصبِ وضِـيق العطَـن[29] ونفي الآخَر والتحجر والجمود..إلخ من قائمةٍ تثقل الأوراق بسردها وتضيق بعدها..

أما إذا اجترح أهل الجهاد أو بعض من ينتسب إليهم أمراً يتورم له أنـفُ أمريكـا ويتَمعر له وجه "بلير" وتثور من أجله ثائرة "كوفي عنان".. فإن نكيرهم يبلـغ عنـان السماء، وتسقط كل مقولات الرأي والرأي الآخر، ويبرأ الإسلام المسكين لا من هـذا الفعل فقط بل من الفَعلَة القَتَلَة الإرهابيين..إلخ.

ويضعون أيديهم على تراثٍ فِقْهي لأئمةٍ سلفوا قالوا بهذا الأمر وبه نطقوا تماما كما فَعل الحبر اليهودي بآية الرجم بالتوراة.. وإلى ا المشتكى.

فهل يلوم عاقل ذو حصاةٍ[30] شباب الإسلام إذا نبذوا هذه العمـائم نَبـذَ الحـصاة؟! ولنُتَمِم جميعاً مرددين مع الشاعر قوله:

ولو أن أهل العلم صانوه صانَهم	ولو عظّموه في النفوس لَعظّما
ولكن أهانـوه ولَطخـوا محياه	بالأطمـاع حتـى تَجهمـا

ونعود مرة أخرى لسرد الوقائع وتأريخ الحوادث فنقول مستعينين با :-

تَكَهرب الجو وتلبد بغيوم سوداء تَحمل حقداً أسود دفيناً، وعلا فحيح الأفاعي وهـي تَزحف في ظلام الليل لتطبق على المجاهدين.. وبدا أن طبولَ الحرب وضجيجها قـد

---

27 - الدهقان بضم وكسر الدال هو التاجر.

28 - النسر والعواء اسمان لنجمين في السماء.

29 - يقال: واسع العطَن أي رحب الذراع كثـير الـمال.

30 - يقال: فلان ذو حصاة أي عقل ورأي، والحصاة الثانية في الجملة أعلاه مفرد الحصى أي الحجارة.

سد الأُفُق السياسي وأَصم آذان الساسة عن الاستماع إلى نداء العقل والمعالجة السلمية.

وقد تَناهى إلى أسماع العالم التقارير السريةُ عن الأز اليهودي للعدو الأمريكي ليبطش ويستعمل سياسة الأحذية الغليظة مبررين بذلك بأن العرب جنس رديء لا يصلح معه إلا لغة القتل والتنكيل.

وتتابعت أرتال جنود الكفر تُغِذ[31] الخُطا وهي تَتَلَمظُ[32] بهتْك الحرم واستذلال أهل الإسلام، وقد تطايرت الأخبار بأن الإدارة الأمريكية قد أعدت نُزلاً- وأي نُزل! - لجميع البالغين في الفلوجة في محاولة منها لكسر شوكة الجهاد واجتثاث جذوره وحصلت مداولاتٍ من ناحيتنا وتدارس للخياراتِ المتاحةِ وهل نُؤْثِر الانحياز والخروج من المدينة أم نَثْبت في مواقعِنا وندافع عن الحق، لقد كان الشعور بأنها معركة كسر عظْم وأن الأمريكان قد عزموا أن يجعلوها نكالاً لكل المدن وأنهم إذا ولَجوها فسيستبيحونها دماً وعرضاً وكان هذا واضحاً في ثِنيات كلامهم وتصريحاتهم.

لقد كانت معركةَ تحد حقيقيةً، وكان قرار القيادة الجهادية بوجوب الثبات وكان فيه بحمد ا الخير والرشد، وأُعلن النفير العام للإخوة وتأهب الأسود.. وتتابعت المواجهات بين كَر وفَر حتى إذا كان يوم الأحد ليلة الاثنين.. وقد تكامل الحشد وتهيأ الجيش واشْرَأَبت الأعناقُ تنتظر إشارةَ البدءِ ولحظةَ الصفر فماذا حدث بعد ذلك....؟

تتالت الأحداثُ سِراعاً ففي نحو الثانيةِ بعد منتصف الليل تَجرأَت ثلاثُ سيارات (همر) فاقتحمت المدينة من ناحية الحي العسكري فتصدى لها صقور العز وأمطروها بحمم الموت فاحترقت غير مأسوف عليها..

---

[31] - أغذ أي أسرع.

[32] - التلمظ يقال تلمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه.

وكَع[33] بقية الرتل وأحجم عن الإقدام وثقلت منهم الأقدام خوفًا من الحِمام[34] .. فتقهقروا.. وأقبلت – وكالعادة- خفافيش الظلام الطائرة، وأمطرت المجاهدين بوابل من الرصاص المنهمر.. وألقت عليهم القنابل العنقودية واستشهد في هذه المواجهة البطل خطاب شاب في نحو العشرين من عمره من اليمن أسد مِقْدام.. وفاحت منه رائحة المسك كأطيب ريح أنت واجدها.. وتَبِعه أخوه من جزيرة الحبيب محمد صلى ا عليه وسلم ويكنى "المقداد" أحد الأسود.. وتقدم الحجي ثامر من الرمادي (وهو ثامر مبارك الدليمي من أكبر عشائر الأنبار) ليسحب جثامين إخوانه، وحاول الإخوة منعه فأبى واقتحم فجاءه الأجل، وهو يقول: مِن أجل ا لا نعرف الخوف والوجل، والحجي ـرحمه ا ـ من أبطال العراق الأماجد، وهو الذي أشْرف على عملية قتل السفيه (باقرالحكيم)، وقد كان أحد أعمدة كثير من العمليات الاستشهادية إعداداً ومراقبةً وتجهيزاً هو والراحل الخالد حمزة أبو محمد (رحمهما ا)[35]

ولقد أصيب الحجي ثامر قبل استشهاده بليلة فكان يتَحسر ويعض شفتيه ألماً على فوات الشهادة وأن المنية أخطأته.. ولعل ا اطّلع منه على صدق النية وعظيم الشوق إلى اللقاء فعجل له الهدية واجتباه إليه سريعا..

---

33 - كع تأتي بمعنى نكص على عقيبيه، وجبن...ونحو هذا.

34- الحِمام هو الموت.

35 اسمه نضال محمد عربيات من أنبل عشائر مدينة السلط في الأردن عاش في بواكير عمره حياة طَيش ثم أدركته رحمةُ مولاه فأحيا موات قَلبه وأخَذ بناصيته إلى أرض العزة والفَخار في أفغانستان أواخر ١٩٩٩ ميلادي وتَلقى عدةَ دورات، ثم انتقل إلى كردستان مجاهداً وقبيل سقوط النظام انتقل إلى بغداد والتحق بالأخ أبي مصعب الزرقاوي رفيقاً له في رحلة الجهاد في زمن الذل والاستعبادِ، كان رحمه ا مسعر حرب مقداماً لا يهاب، خبيراً في المتفجرات، وهو الذي جهز معظم سيارات العمليات الاستشهادية التي زلزلت أركان العدو وعملاءه في العراق، ولكن هذه الصورة الملطخة بالدماء تنقلب إلى نفس حانية وحياء عجيب وصمت عميق مع أهل الإسلام، هذا إلى خِفةِ روح ومرحٍ ودماثة خلق وأدب، ما خالطه أحد إلا وأحبه، وقد كان من أحب الإخوة إلى الأخ أبي مصعب الزرقاوي وكان بينهما علاقةٌ حميمة نسجها التوحيد وشد معاقدها ذروة السنام وأخوة الجهاد.
داهم الأمريكان داراً كانت قاعدة للإخوة المهاجرين في لحظة غفلة أمضاها ا عز وجل ليحِق القدر المحتوم، واستطاع الإخوة أن يتسللوا وتخلف حمزة ليحمي ظهورهم وأكرمه ا فجندل عدداً من الأمريكان بمسدسه وكان نِعم الرامي.. وانْهمر الرصاص كالمطر وصعِدت روح فقيدنا إلى مولاه سبحانه طَيبةً طاهرة، وفاحتْ في البيت ريح المسك وتَداعى الناس إلى شَمها وبكَت عيون الصغار والكبار وسرت روح الجهاد في المنطقة كلها، وتلك لَعمر ا سيرة النبلاء: علو في الحياة وفي الممات، حياتهم للأمة نصر وفتح، وموتُهم للناس إحياء وبعث...فرحمة ا عليك يا حمزة فلقد تركتَ فراغاً لا يملؤه أحد، وأورثت القلوب لوعةً لا يسكُن لهيبها إلا بلقياك هناك في الجنان بإذن ا . "أبو أنس".

فرحِمك ا   يا حجي رحمةً واسعة..

كما أُصيب في هذا القصف الأخُ الفاضل أبو فارس من عـشيرة البوعبيـد (مـن الجزيرة ناحية الرمادي). واشتد عليه الألم وحمله أحد الإخوة في صندوق "البيك آب" ومضى به إلى المستشفى الأهلي.. وكان العلوج قد تقـدموا مـن ناحيـة المنطقـة الصناعية فأبصروا السيارة فأمطروها بوابل حِممهم فنجى الأخ السائق وأصيب الأخ أبو فارس إصابة الموت فمضى إلى ا   طاهر الثياب حسن الأُحدوثة جميلَ السيرة في إخوانه..

أبو فارس فارس لم تر العيون مثله، لقد قُدر لي أن أرافقه في بعض المشاهد فرأيت منه إقداما وشجاعة نادرتين..

وأَشْهد أن الخوف لم يكن يعرف طريقًا إلى قلبه أبدا، لقد كان الخوف يخـاف مـن قلب أبي فارس.. وقد كان يتَلَهف على عملية استشهادية ويلح في ذلك والـشيخ أبـو مصعب الزرقاوي يؤخره ويتآنى[٣٦] به ويدخره للمِلمات.. وكان لها أهلاً..

بكى مرة في إثر عملية كبيرة كان قائدها وأصيب في رجله.. فكان يبكي ويقول: لو كان في خير لاصطفاني ا   شهيدا..!!

هذا مع رقة نَفْسٍ وحسن أدبٍ وتواضعٍ جم من غير كُلْفَةٍ، وصفاء قلب لإخوانه..

وتلك لَعمر ا   أخلاق الشهداء، وقد أَثْبتَ صدقَ ولائه لربه ودينه حتى في وصـيته التي كانت تفيض إيمانًا وتُقًى وقد ضمنَها شرطاً عجيباً لا يخْطُـر إلا ببـال موحـد خالص لربه ودينه.. أوصى أبو فارس ألا يمشِي أحد إخوانه[٣٧] -وكان شرطياً- فـي جنازته.. وإلا فهو بريء ممن أذن له بذلك، فرحمة ا   عليك – أبا فارس – فوا   لئن

[36]- يتآنى أي يتمهل.

[37] - يقصد إخوانه في النسب.

سئِلْنا لنَصدقَن ولئن استُشْهِدنا لَنَشْهدن أنك كنتَ فارساً من فرسان الإسـلام حقـا.... فسلام على روحك في الخالدين.

لـه همـةٌ تعـلو علـى كل هِمـة * كما قد علا البدر على النجوم الدراري

وأُصيب الأخ أبو ثابت من اليمن، وأُغْمِي عليه ولم يفِقْ إلا في بغـداد، ومـا زال يعالَج من جراحه فنسأل ا له الشفاء والعافية...آمين.

وأصيب أيضاً أبو حمزة الفلسطيني ونُقل إلى المستشفى، وفي الجولان انبرى بعض الضراغِم[٣٨] يلقمون مدافع الهاون حِمم الموتِ هدايا للأمريكان حتـى أَثْخَنـوا فـيهم وجاءهم الصريخُ أن حسبكم كُفوا قبل أن يستَمكِنَكم الكفار.. فَأَبوا.. فمضوا بقـذائفهم حتى جاءهم قصفُ الموت ليفتح لهم باباً إلى الجنان – بإذن ا – فاختـار ا مـنهم أربعة مضوا إلى ركْبِ الخالدين.

أذّن الفجر وصاح الديك وابتدأ عهد جديد وجاءنا الخبر في الصباح، فانطلقتُ برفقة أحد الإخوة إلى المقبرة التي في أطراف الجولان عند مسجد المعاضيدي وألقينا نظرة الوداع على الشهداء وبكت عيون قلوبنا دموع الشوق إلى اللقاء هناك في جنان الخلد إن شاء ا ..

بدا أن المعركة قد استعر أَتونُها[٣٩]، وأنها في هذه المرة معركةٌ لا ككل معارك الكَر والفَر والكمائن السابقةِ وتَراجمت بالناسِ الظنون وسرت الشائعات في هشيم النفـوسِ المريضةِ وتَداعى بعض الحثالةِ إلى وجوبِ خروجِ المجاهدين حِفاظاً علـى المدينـة وأهلِها، فماذا حدث بعد ذلك؟!

38- من أسماء الأسد واحده ضِرغام.

39 - الأتون: الموقد.

خَرجتُ من المقبرة قبل تمام الدفن، حدثَتْني نفسي أن أقوم في جموع الحاضرين من أهل المدينة واعظاً ومذكراً وحاثّاً على الجهاد ومحرضاً فلقد كان استشهاد هذه الكوكبة من الأحباب مؤثِّراً جدا، لكنني ألزمتُ نفسي الصمت وآثرت السكوت لأننا كنا – نحن المهاجرين- لا نزال نؤثر الاختفاء ونفضل التواري خوفاً من عيون الشر المنتشرة..

وتابع الإخوة الكرام أمر الدفن حتى إذا أوشكوا على الفراغ ونَفْض أيديهم من التراب بدأت طلائع العدو بالتقدم من ناحية الجولان.... وكان من أوائل من بصر بهم بطل الجولان وقائده أبو خطاب الحطاب[٤٠] وكان حاضراً في المقبرة فانطلق مسرعاً برفقة بعض الأخوة من مجموعتين فَأَجلبوا بخَيلهم وجلَبوا أسلحتهم واستصرخوا رجالهم وبدأوا بالانتشار في الأزقة والفروع والتحق بهم أبو عمار السوري وأبو إبراهيم المصري وهما من أعمدة المعركة وفرسانها إلى نهايتها، وانضمت إليهم سريعاً مجموعة عبد العزيز وهم نحو ٧ إخوة من الجزيرة والكويت وليبيا أسود هزابِرةٌ[٤١] في الحروب جبابرة لا يخشون الموت ولا البرابرة[٤٢].

وكانوا قد قَدِموا من بغداد إمداداً لإخوانهم وإرصاداً للعدو، وصاح أبو خطاب: ا أكبر جاء المدد، وتلاحق المجاهدون، ودخلت طليعةُ العدو رجالةً من ناحية المقبرة، وانطلقت رصاصات الجولان الأولى من بندقية أبي علاء الأنصاري من الفلوجة لتُعلِن بدء عهد جهادي جديد، يتوارى فيه الخَوف ويذبح فيه التردد وتُرفع فيه راياتُ الاستبسال والفداءِ، وتَقَهقَر الجند، وتقدمت المدرعات والدبابات، وانتُدب لها "أبو

---

[40] - تعودت أن أناديه كذلك ممازحاً، وليس بحطاب للأشجار ولكنه حطاب رؤوس الكفار. "أبو أنس".

[41] - الهزبر الأسد القوي.

[42] البربرة تخليط في الكلام مع غضب ونفور، ومراده هنا وا أعلم بالبرابرة الهمجيون والعتاة، فالبربر معروفون بالغلاظة عموماً، والإسلام يحسن الأخلاق.

مرضية اليماني" وجها لوجه وهو يمتشق قاذف "الآر بي جي" وبينه وبين الدبابة نحو ١٥ م وبدا المنظر مغْريا أشبه ما يكون بعصفور يواجِه فيلاً ضخماً ثائرا..!!

ٍ وسمى ا وكبر وانطلق الصاروخ ليستقر في جوف الدبابة ويفسح لها مـن بعـد طريقاً إلى أفران الحديد الصلْب، كما وأحرق همراً وقَنَص اثنين من الأمريكان [أبـو مرضية ليثٌ هصور[٤٣] دقيقُ الجسم صغير الحجم، ويخَيلُ إليك إذا لَمحتَه أنك تستطيع حمله على كفك من غير عناء

تـرى الرجل النحيل فتزدريه ...... وفي أثوابـه أسد هصـور..
ويعجِبك الطريـر[٤٤] فتَبتَليـه ...... فيخْلِف ظنك الرجلُ الطرير..

وأثناء هذا أَقْبلَ ركْب أبي قدامة البغدادي وفي طَيه[٤٥] البطل الهمام سالم الذي أحرق ا على يديه أعداداً جمةً من آلياتٍ ومدرعات العدو، أَقْبلَتْ دبابةٌ قَـصكها بالقاذفـة فَأطَن[٤٦] برجها..

فتقدمت مدرعة من ناحية مسجد أبي أيوب فأحرقها أحد الأنصار الأبرار.

وأقبلت السمتيات (طائرات الهيلكوبتر).. فوجه إليها أبطالُ الجولان وعلى رأسِـهم الأنصاري عبد الستار أبو حسن والليبي أبو ناصر بالـ(بي كي سي)، فَأسـقَط كـل منهما طائرة، وكان من أمر أبي حسن أنه جاء إلى أبي ناصر يستعين بـه لإصـلاح الـ(بي كي سي) وأنها لا تَرمِي إلا طلقة طلقة، وفي هذه اللحظة أقبلَـتْ الطـائرات فسمى ا وكبر ورمى، فلَفَظَتْ رشاشته (٩٠) طلقة صلْياً من غير توقف بحمـد ا

---

[43] - الأسد الهصور هو الشديد الذي يكسر.

[44] - الطرير: المراد ذو المنظر الحسن الناعم. "ميسرة"

[45]- أي معه.

[46]- أطن أي دمر.

تعالى، وكانت حصيلة اليوم الأول نحو ٣ دبابات و٣ مروحيات وعدد من الهمـرات والمدرعات..

واستشهد فـــــي هذه المعركة علي عيد غريب السويداوي من الفلوجة رحمـه ا .

وفي حي "نَزال" نَفَر الإخوةُ من مكانهم بقيادة الأخوين أبي هاجر وأبـي عائـشة السوريين وكانوا نحواً من عشرين مجاهداً.. وتقدموا صوب الحي الـصناعي وكـان الأمريكان قد عجلوا وتسللوا إليه وثبتوا فيه أقدامهم..

تقدم الإخوة هذه المرة وقد انكسر الحاجِز وسقطت الأقنعةُ وهم يحملـون أسـلحتَهم علانيةً، مهللين ومكبرين يحرضون الناس على الجهاد وتقدموا في الأزقة وقد أحـدوا أبصارهم وأرهفوا آذانهم وعلى الزناد أصابعهم..

واستطْرقُوا بيتاً ففتَحتْ لهم عجوز فاسـتأْذنوها أن يرقـى بعـضهم ظَهـر بيتهـا ليستَطْلعوا الأمريكان فَأذِنَت ورحبت وقامت من فَورها وأعدت لهـم فُطُـوراً وكـان الوقتُ قُبيل الظهر.. وأصرت عليهم أن يأْكلوا مِن زادها وتلك لَعمر ا سجِيةٌ عنـد كثير من أهل العراق والفلوجة خاصة أعني الكرم والاحتفاء بالضيف..

وتَوزع الإخوةُ على مجموعتين واتخذ أبو عائشة ومجموعتُه -وهم نحو سبعة- أحد البيوتِ الخاليةِ قاعدةً لهم ورقِي بعضهم ظهره وفَتحوا نيرانهم على القناصة الأمريكان واستمروا على ذلك زمناً ثم نزلوا إلى الطابق الأرضي، وما هي إلا لحظـات حتـى سمعوا أَزيز الطائرات وأصيب البيتُ إصابةً مباشِرةً فتَهدمت منه أركان وخَر علـيهم السقْفُ من فوقهم.

يقول أبو حفص.. وقلت في نفسي: رباه.. لقد قُتل الشباب.. وركَضتُ كـالمجنون أَتحرى الأمر وإذْ بأبي عائشة ومن معه يخْرجون من بين الأنقاضِ وقد علَتْهم غَبـرةٌ

وكأنهم موتى نُشروا من قبورهم، وجعلوا ينفضون عنهم التراب ليس بهم من بـأس، وانحازوا إلى بيتٍ لم يسقَف بعد فتَواروا خَلْفَ جدرانه..

مرتْ لحظات وسقط صاروخٌ آخر في جوف البيت، وبدوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وحِبِست الأنفاس وتَهيأتْ دموع العيون للفيضان وانْجلى الدخان وهدأ العجاج[٤٧] .

وإذ بالإخوة قد غَادروا المكان بتوفيق ا قبلَ مجيء الطائرةِ بلَحظـات، وانْتُـدِب البطلُ أبو حفص الليبي بقاذفةِ "الآر بي جي" وبرز للطائرة وَأطْلَقَ وأصاب منها مقتلاً وتَهاوت كُتْلَةً من نِيران، وَأقْبل المخذّلون يحمِلون بشائر الخِذْلان والذل وصرخوا في الإخوة محذّرين وآمرين بالانسحاب وهم يولْوِلون ويلْطِمون زاعمين أن الأمريكان قد طَوقّوا وتَفَوقُوا.. ولا أَملَ بالفَوز والنصر.. وجاء الرد سريعاً.. وصرخَ أبو حفـص فيهم موبخاً فأخرسهم.. وتَقَدم أبو مثنى الأنصاري من منطقة الرطبة -راهـب ليـلِ وفارس ميدان، كان يصوم يوماً ويفْطِر آخَر، صامتٌ لا يتَكلم كان قد أدرك أن عهـد الكلامِ قد ولّى وَأقْبل عهد الرصاص..

أدت رسـالتَها المنابـر وانبـرى * حد الـحسـام بدوره ليقولا
ولقد بحثْـت عن السلام فلـــم * أر كإراقة الـدم للسلام بديلا

سمِع الهيعةَ فطار إليها.. وخرج سريعاً يجر إزاره حافيا.. بصر بـبعض المـشاةِ فرماهم فأصاب نحو اثنين، وكان قد رأى قَبلَها بليالٍ أنه يقْتُل أمريكيين ثـم يستَـشْهد وصدق ا فَصدقَه ا ، وَأقْبلَت طائرةٌ تَحمل حِمم الموتِ فتَصدى لها بالـ"بازوكـا"، ورماها فأخطأها لكنها لم تخطئه.. فرمته لتفتح له بصواريخها باباً للجنان بإذن ا .

47- العجاج الغبار والدخان أيضاً.

والتحم الفريقان.. وقتل من العلوج نحو ١٥ قتيلاً.. وبقيتْ جثث ٣ منهم ملْقاةً إلى الغد.. ثم سحبت إلى قَليبِ جهنم وبئس المصير..

وتكررت هذه الصور في سائر مداخل المدينة؛ أرتالٌ تتقدم ومجاهدون يرتَدون لأمةَ الموت، ويقْتَحمون غَمرات الحروب يذُودون عن الأمة ويرسمون بنيران أسلحتِهم فجر الإسلام الباسم.

أثناء هذا كنت أتجول برِفْقَة أبي مجاهد على الثغور نَطْمِئن على وضع الإخوة ونسأل عن احتياجاتهم.. وكان الناس في الشوارع يتساءلون ويتَسقطون الأخبار حيارى لا يدركون ولا يدرون ماذا يصنعون.. وإن كان غالب الناس بحمد الله فَرحى مستبشِرين بإخوة السلاح والجهاد يدعون للمجاهدين بالثبات والظفَر.. وكان الموقف –حقيقةً– صعباً وما زالت الكثرة الصامتة لم تَحسِم أمرها ولم تُحِطْ بعد بأبعاد المعركة وما زالت الثغور تعاني نقصاً شديداً قياساً إلى ضخامة المعركة المستَعِرة..

هذا الموقف المأزوم حملني على الخروج عن طوري وكشفت اللثام وسفَرتُ الوجه وجعلتُ أَستَصرخُ الناس وأدعوهم للحاق بالثغور والأطراف ذَباً عن الأعراض وحِفْظاً للبيضة وتقويةً لقلوبهم، ومضيتُ في صلاةِ العصر إلى مسجد الفرقان واستأذَنْتُ الإمام أن أَعِظَ الناس وأُذَكرهم وحثني على ذلك ما له من جرأة وإقدام ودعوة للجهاد فما خَيب الظن –جزاه الله خيراً- وأَذِن لي، وقمتُ بعد الصلاة وحضضتُ الناس وذَكرتُهم ورأيتُ منهم حسن الاستجابة والإقدام.

وأثناء هذا انسحب الجنود والشرط وانْماعوا[٤٨]، وذابوا كما يذوب الملح في الماء..

وليس ذا بغريب فلم يستَعِدوا ولم يعدوا لمثل هذه المهمة.. أعني حمايةَ أهل الإسلام والذود عن الأعراض والحرمات.

---

[48]- أي ذابوا واختفوا.

لقد كنا نراهم قبلها بفترة وجيزة منتشرين شاهري أسلحتِهم استعراضاً للعـضلات، وإثباتاً للوجود، تماماً كما قال الشاعر:

وإذا خـــلا الجبان بـــأرض * طلب الطـــعن وحده والنزالا

وكنا نمر مستترين وجِلين مخافةَ الغَدر منهم وأن يقَدموننا قرابين لأسيادهم.

وحين حمِي الوطيس... غابوا وذابوا.. إلا قليلاً ممن لم تَنْطَمِس فيهم بقايا المروءة والحمِية فسلموا للمجاهدين أسلحتَهم وسياراتِهم وانضموا إلى ركْب العزة والفخار..

تَضيفَت[49] الشمس للغروب، وآذَنَتْ بالرحيل حمراء، وكأنها تَسبح في أنهـار الـدم التي بدا دفْقُها بالسيلان وكأنها تقول وهي تودعنا: على مثل خاتمتي الممهورة بالـدم القاني فلتكن خاتمتُك أيها المسلم قتلاً في سبيل الله وإهراقاً للدماء من أجله.

وحدث هاهنا – قبيل الغروب – أمر نُكُر: ساءنا وآلمنا.. فما هو يا تُرى؟

بينما نحن في تَجوالنا نُحرض الناس ونَستَحِثهم تَناهى إلى أسماعنا أصواتُ بعـض منابر المساجد وهي تنادي في الناس..؟

بالجهاد ؟ .. لا.. فبماذا إذاً؟

لقد انتُدِب بعض أئمة المساجد وكيلاً عن الاحتلال منادياً بحظر التجـوال ولـزوم المنازل من السابعة ليلاً إلى السادسة صباحاً، وكان لهذا النداء وقع الصاعقة..

فبدل نداء الجهاد.. وأن يقال للناس: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبـشِري.. إذا بنـا نسمع هذا النداء المتخاذل، فكنتُ كمن صكه عدو بقَبضة يدِه في غَفلةٍ منه وعلى حين غِرة ففَقَد توازنه ومادت به الأرض، لقد كنا نسمع لهؤلاء دوياً كعصف الرياح قبـل سقوط النظام دعوةً إلى الجهاد وحديثاً عن ذروة السنام.. ثم صمت القوم، صمتَ أهل

49- تضيفت أي دنت للغروب وقربت.

القبور حين طُويت صفحة الطاغية البائد.. فلم ينْبِس أحد منهم – إلا مـا شـاء ا - ببِنْتِ شَفَةٍ[50] وغاض نداء الجهادِ في الأرضِ السابعةِ وردِمتْ آباره وعفَى أَثَرها.. لم يكْتَفِ هؤلاء بهذا الخذلان، ولم يشْبعوا من القعود على الذل والهوان.. حتى رضـوا لأنفسهم أن يخْذُلوا الأمة وأن يخَذِّلُوها.. في منعطف اللوى.. وإلى ا المشتكى.

أصم الشباب آذانَهم ومضوا في جهادهم فقد أَدركوا قديماً أن هذا الثالوث (العمـائم، والولائم، والهزائم) مضى زمانه وولى أوانُه.. وأن دين ا ليس تَفَيهقاتٍ وشِقْـشِقاتٍ تُجلْجلُ بها الحناجر على المنابر ثم ينْفَض السامر كأن لم يكن شيء....
وثبت المجاهدون مـرابطين وهـم يـرددون: إن كنـت إمـامي فكـن أمـامي.

---

[50]- أي لم يتكلم أحدهم بكلمة.

أسدلَ الليلُ غِلالَه[51] وهدأت الحركة... ورابط الإخوة في ثغورهم وأصابعهم على الزناد... نام بعض الإخوة من فَرطِ التعب والإرهاق وتحامل آخرون يراوحون بين أرجلِهم وجباهِهم يتَضرعون بانكسارٍ للواحد الجبار يسألونه العون والسداد والتثبيت.

لقد كنا نشعر بكل جوانِحِنا أنه ليس لنا حول ولا طَول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى فهو وحده الغَوثُ والعون في هذه المحنةِ العبوس.

[صباح الثلاثاء ١٦/صفر/١٤٢٥- الموافق ٦/٤ /٢٠٠٤]

مع إشراقة الشمس وتَسلل أنوار الضياء بدَأت محاولةُ اقتحامٍ جديدةٍ من ناحية الجولان وتَصدى لها ضياغِم[52] الجولان وصرح أحد مراسلي وكالةِ أنباءٍ أجنبية أنه رأى جثَثَ عشَرةٍ من الجنود الأمريكان صرعى في شوارع الجولان..

وتَقهقَر الفِئْران وتقدمت الطائراتُ فقَصفَت، وسقَط في هذا اليوم نحو عشرين قتيلاً من عامة الناس.

وأعادوا الكرة مرة أخرى.. وانبرى لهم "الحلبوسي" رباح شاكي السلاح[53]، ورمى بقاذِفَته دبابةً اجترأَتْ فتَقَدمت بين يدي رتْلٍ طويل.. فضربها أول مرة فأصاب الجنزير فلم تَتأثر وتَحولت نحوه فاستَتَر وألْقَم القاذفةَ صاروخاً آخر وتَهيأ وسمى ا وكبر، وبرز سريعاً ورمى فأصاب البرج فدمره، وكان فوقها نحو ثمانية من الجند تطايرت جثَثُهم يميناً وشمالاً...

انسحبوا مذعورين لا يلْوون على شيء، وأقبلت الطائرات المروحية فتصدى لها أبو حسين الأنصاري، فضرب الأولى فقتل رامي (البكتا) فخّر على وجهه صريعاً..

---

[51]- أي حل الليل.

[52]- أي أسود.

[53]- شاكي السلاح أي ذو شوكة وحد في سلاحه.

وأصاب الثانية في المروحة الخلفية فطار دخانها.. وتهاوت بعيداً.

وفي هذا اليوم لَبِستُ غير لبوسي وتَوشحتُ بكاميرا أردتُ أن أُصور للأمـة بعض صور العز والكرامة وارتقيت سطح بيتٍ في الجولان ومعي أبو الخطاب وثالث لا أذكره يحمل قاذفةً، وَأقْبلَتْ طائرتا هيلوكبتر فرمى صاحبنا فَأخْطَـأ.. وتوجهتا من فَورهما نحونا وهما تُمشطان (بالبكتا)، وتوارى الأخوان في البيت تحت الدرج وبقِيتُ وحدي فتواريت في الزاوية وانهمر الرصاص كالطوفان وأنا أَرقُب وأنظر إلى الرماة وهما ينظران إلي لقربهما ولا أملك إلا الدعاء.. وولتـا سريعاً وتفقدتُ جسدي فوجدتُني سليماً وعجِلْتُ إلى الشريط فأعدتُه لأشاهد مـا حصل فلم أجد شيئاً!

فقد كانت الشمس مواجِهة _ وقت الظهيرة_ أدركتُ عند ذلك أني خُلِقْتُ لغير هذا فألقيت الكاميرا وتَوشّحتُ سلاحي من جديد.

وفي حي "النزال" تَقَدم الأمريكان فَأوغَلوا ودنَوا مـن مـسجد عبـد العزيـز السامرائي وانبْرت لهم مجموعتا أبي عائشةَ وأبي هاجر.. وتقدموا الهوينى فـي الأزقة وكان العدو قد تقدم من ثلاثة أفرع.. وفي زاويةٍ داخـل الحـي تواجـه الطرفان، وغمز أبو حفص بندقيته فزغردت تَعزِف لَحن الموتِ وقُتل نحـو ٣ أمريكيين... وتقدم الإخوة مكبرين واقتحم أبو حفص فَأُصيب فى رجله، ولْنَدعه يحدثْنا:

يقول -شَفاه ا -: أُصِبتُ برجلي في منتصف الشارع وخُيلَ إلي حين سقَطْتُ أن يداً ما حملتني وقذفت بي إلى الزاوية الأخرى مستتراً بالبناء وتَلَفت حـولي متعجباً لا أدري كيف حصل ما حصل؟ وأُفردتُ في الزاوية والتَفَـت فوجـدت البندقية في وسط الشارع.. وتقدم أبو عائشة محاولاً إخلائي فيصاب برصاصة

خرقت بطنه وخرجت من ظهره فسقط إلى جواري، وتقدم أخ أنصاري فلوجي فأصيب، وتأزم الموقف.

وأقبل الأخ أحمد الأنصاري من الفلوجة فاقتحم بسيارته حتـى انتهـى إلينـا وحملنا في السيارة، وتَراكبنا فوق بعضنا بغير انتظام، وكانت رجلي السليمة بين رأسه والنافذة فانطلق يغِذ[54] السير مسرعاً، وأَطْلَق قناص صلْيةً أصابت إحـدى طلقاتِها رجلي فأصيبت فادية رأس أخينا أحمد_بحمد ا _..

نُقل أبو حفص على إثر ذلك إلى بغداد، وفَقَد الميدان أحد شجعان الدنيا، أبـو حفص، وما أدراك ما أبو حفص؟

أحاط بهم الشرط في بغداد وكانوا ثلاثةً في مهمة استطلاعية واكتشفوا أنهـم عرب وليسوا عراقيين، وأرادوا أن يسوقوهم إلى المعتقل فانقَض أبـو حفـص على أحد الشرط، وسلَبه بندقيتَه، وقَذَفَ به إلى الجحيم وغَطّـى علـى إخوانـه وانْسحبوا جميعاً سالمين.

كان الأخ أبو محمد اللبناني يقول له: أظنك يا أبا حفص ستُقْتَل سـريعاً، ثـم رأى أبو حفص أنه وأبا محمدٍ في بيتِ المقْدِسِ وأن أبا محمد أَمـره أن يقـوم مؤَذناً.. فكانت بِشارةَ خيرٍ إن شاء ا .

ونُقِل كذلك أبو عائشة أحد الآسادِ، وقُور متواضع يحبه كل من خالطه حتـى أن بعض الإخوة الأنصار في بعض المدن كانوا يلحون في إرساله أميراً عليهم.

وأحيط بالأخوين أبو الخير الأردني وأبو هريرةَ السوري، فقُتل أبـو هريـرةَ ومثّل به الأعداء واعتُقل أبو الخير، ومشّط أبو الزبير - من الجزيرة- محـاولاً فتح ثغرة لإنقاذهما، ولكن سبقَ السيفُ العذَلَ... قُتل أبو هريرة صائماً وفاحـت منه رائحة المسك.. رحمهم ا جميعاً.

---

[54] - أغَذ أي أسرع. "ميسرة"

هدأت الحرب الموارة[55] في حي "نَزال" مع حلول الظلام.

وكنتُ قد عزمتُ على أمرين في الليلة الماضية فلما كان بعد الظهر مضيتُ إلى مسجد الفرقان وأمسكتُ "الميكرفون" وجعلتُ أصرخ وأنادي بكل ما أوتيت من قوة: حي على الجهاد.. يا خيل ا اركبي وبالجنة أبشِري..

لقد كنتُ أشْعر من أعماق قلبي أن ما جرى بالأمس من بعض الأئمة عار لا يمسحه إلا أن تَعود المنابر تَصرخ مرة أخرى بنداء الحق ودعوة الجهاد..

وتناهى إلى أسماعنا أن هيئة علماء المسلمين وجهت نداءاتِ الاستغاثة إلى أحرار العالم وإلى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.. للتدخل لإنهاء الأزمة وإنقاذ الناس.

كما وطالبت الناس بالخروج في مظاهرات سلمية!!

وانتَبِه أخي القارئ الكريم إلى هذا القيد – سِلْمية – فإنه مهم جداً.. حتى لا يتَوهم متَوهم أن هيئة العلماء جماعة متطرفة وتؤمن بالعنف، وحتى لا تُسولَ لأحدٍ نفسه أن يحمِلَ معه خَنْجراً أو سكيناً يخَوف به الجنود الأمريكيين الطيبين..

أثناء هذا أرسل إلينا الشيخ أبو مصعب الزرقاوي حفِظَه ا يستَشيرنا في المجيء ليشارك بنفسه مع الشباب ويلح في هذا وبقوة، وكان رأي جميع الإخوة الكبار ألا يفعل، وسألناه با وأقسمنا عليه ألا يفْعل ضنا به وحفاظاً عليه.... وحتى لا تتوحش أمريكا أكثر وأكثر إذا تَسرب خبر وجوده في ساحة الفلوجة..

ولكننا كنا معه على اتصالٍ يومي، وكان رسوله في ذلك البطل الزاجل أبو عبد الرحمن من الجزيرة ناحية الرمادي..

55- مار يمور موراً إذا جعل يذْهب ويجيء ويتَردد، والمراد هنا أنها حرب شديدة.

كان يغدو ويروح كل يوم بالبلم (الزورق) تارةً وسباحةً أخرى والرصـاص فوق رأسه، وكان لنا نِعم الرديفُ والمعين، فبالإضافة إلى نقل الرسائل تولى نقل كميات من السلاح والإشراف على عبور كثير من الإخوة.

بقِيتْ الثغور مشتعلة.. وصرح أحد الضباط قائلاً: لقد كـانوا ينتظروننـا.. وصدق وهو الكذوب.

حين حل الظلام.. تفرق الأُسد في الآجام[٥٦] – إلا من كان عنده نوبةُ حراسـة – وأَويتُ إلى بيت أحد الإخوة ونمت نحو الساعة ١٢ ليلاً.. ولم أَهنأ بنومي فقد بقي الضجيج والقصف..

وفي نحو الثالثة شَعرنا كأن اختِْراقاً حصلَ فقد كان صوتُ المدرعات قريبـاً جداً فقمنا سريعاً وتوضأت وصليت ركعتين مودعاً ولِبسنا لأْمة الحربِ، وانطلقنا وتقدمنا في الأزقة والفروع.. فلم نجد روعاً، وكان الإخوة قـد ردوهـم علـى أعقابهم، وهالَنا منظر الدمار، والجثثُ ملقاةٌ أرضاً هنا وهناك بـسبب القـصف الشديد.

ورابطْنا نحرس في برد شديد وكنتُ متخففاً مـن الثيـاب وبقيـت ارتجـف وتصطك أسناني، حتى ربما خُيل لمن يراني أني أرتجف خوفاً وذعراً.. ولـيس كذلك –علم ا –

صلينا الفجر فرادى كل في زقاقه حتى إذا طلع الصباح وبرز جبين المصباح تقدمنا إلى الخطوط الأولى ولَقِينا هناك قائد الجولان أبا خطاب الحطّاب...

ومضينا نُغِذ الخُطا[٥٧] إلى ثغور الإخوة، واجترأْتُ- على غير عادتي – فأوغَلْتُ وحيداً حتى انتهيتُ إلى مدرسة الخليج، أَطْلَلْتُ برأسي فلمحتُ عدداً من القَنّاصة

56- الأجمة الشجر الكثير الملتف، والآجام أحد جموع كلمة "أجمة".

57- أي أسرعنا.

فوقَ بيتٍ مجاور، وكان بيني وبينهم نحو (١٠٠ م) فَرميتُهم بالكلاشن فلم أُغْنِ فَتيلاً.... فتَواريتُ وتَسورتُ سور بيتٍ قريبٍ منهم ورقِيت السطح وقد تَضايقَتِ المسافةَ إلى نحو من (٤٠م) ورميتُهم فختَلوا[58]..

وهنا بدا لي رأي.. فتراجعتُ وناديتُ أحد الإخوة الأنصار فجاء بقاذفته وقد أَلْقَمها صاروخاً مضاداً للأشخاص.. واتّفَقْنا أن أَرمِيهم لأشاغِلَهم حتى يرمِيهم هو بالقاذفة.

ورقِينا السطح وسمينا وبرزتُ فرميتُ.. وانهال علي الرصاص من كل جانب فرجعت إلى الوراء خطوة وبدأ صاحبي فسمى ورمى، وكنت حينَها قد صِرتُ وراءه، وجاء عصف القاذفة في أذني فخُزقَت[59] طَبلَتها وشَعرتُ وكأن العصافير تُزقْزِق حول رأسي.. حمِدتُ الله كثيراً أن ذلك لم يكن عصفَ نارٍ كما هو المعتاد.. وذلك فضلُ الله علينا.

أَفَقْتُ من هول الصدمة وطَردتُ العصافير عني ونَزلْتُ أنا وصاحبي، وكان الرمي قد اشْتَد علينا جداً.. وركِبتُ رأسي واستَعرتُ العِناد -ولستُ بعنيدٍ في العادة- ورقِيت بيتاً مواجهاً لهم ولم يكن يفصلني عنهم إلا الشارع وبيت واحد.. وكان معي قنبلة يدوية فرميت بها عليهم وانتظرتُ الصوت فلم أسمع شيئاً فقد كان الصاعق عراقياً فلم ينفجر، والله المستعان.

فنزلتُ وتقدمت أقصد زاويةَ الفَرعِ المواجِهة لهم مباشرة وأُفاجأُ بـ (الهمر) تَعلوه (البكتا) قد ولَج الفَرع وتقدم وصرتُ معه وجهاً لوجه.. كانت لحظاتٍ عصيبةً.. وتقهقرت إلى الوراء واستندت بظهري فانفتح الباب خلفي وكدتُ أسقط فسلمني الله – لكنني فقدتُ نعلي – ودخلتُ البيت ورموا البيت برصاصهم

---

[58]- خَتَله أي خدعه عن غفلة، والمراد أنه لم يصب واستطاع تفاديها.

[59]- أي خُرقت ...يقصد أن الصوت كان عالياً جداً.

وأنا أشعر أنه سينهدم ويسقط لقد (ملخوه) كما يقول إخواننا هنا، وربضتُ مكاني ولم يكن معي إلا بندقية كلاشنكوف بمخزنين مضمومين إلى بعضهما، وكنت قد فرغْت مخزناً ونصفاً، وكان معي في ثوبي عدد من الرصاص فجعلـت أمـلأ المخزن وأنتظر العاقبة..

لا أدري.. لكنني كنتُ أشعر حقيقة أن أجلي لم يحِن وأن رحلتي في الحياة لم تُؤْذِن بانقضاء..

رمى الأوغاد.. ثم انسحبوا مؤْثِرين السلامة..

وتَسورتُ الجدران من بيتٍ إلى بيتٍ ثم خَرجتُ أمشي راجعـاً وأنـا أشـعر بالإعياء، وطَنين أُذُني لا يهدأ فلَقِيتُ أبا خطاب وكان يصرخ باحثاً عني.. فلمـا أبصرني صرخَ بأعلى صوته: أبو أنس....

وقلت له مداعباً: أبا خطاب جهز لي سرية حتى أسترد نعلي... وتضاحكنا.

هذه النعل لها قصة طريفة وذلك أنها كانت قد بلِيتْ واهترَأت و كان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي يلح علي أن أستحدث أخرى وأنا أسوف وأقول له: هذه النعل عزيزة علي فقد أهدانيها أخٌ عزيز من المدينة النبوية فلا أفرط فيها.

وكان يمازحني ويقول: لا أدري كيف يقاتل مجاهد بمثل هذا النعل..؟

وكَتَبتُ في ذلك اليوم إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي أُبشره بأن أمنْيتَه قـد تحققت وحيل بيني وبين نعلي..

..أردت أن أقول أيها القراء: إننا بحمد ا مع فَداحة الخطر وشدة المحنة فقد كنا نعيش طمأنينةً وسكينة بهممٍ عِلية وفي عِيشَة هنِية، ومع قصف الرعود فقـد كنا نتمازح ونضحك كأننا بين ظَهرانَي أهلنا آمنين، وذلك فضلُ ا علينا.

[يوم الأربعاء ١٧ /صفر / ١٤٢٥ هـ - الموافق ٧ / ٤/ ٢٠٠٤ م]

ابتدأ هذا اليوم بقصف وحشِي عنيفٍ للمساكن، وتلك أخـلاقُ الجبنـاء حـين يصطَدِمون بصخرةِ الصمود فيتطاولون على العزل شفاء لنفوسـهم المريـضة وانتقاماً لكرامتهم المسحوقة.

وأثناء هذا بدأت دائرة المعركة تتمدد خارج الفلوجة، وتَطاير شَرر الحـرب، وعم لَهيب المعركة البلاد طولاً وعرضاً، وهاج أهل السنة وانكـشف المعـدن الأصيل لأهل الإسلام في العراق، وانكسر حاجز الخـوف، وتجـرأ الـصقور فتَخَطفوا العدو، ومادت الأرض تحت أرجل الاحتلال وتَرنح ينتظـر الـضربة القاضية..

لقد حدثَنا الإخوةُ بعد ذلك كيف أن الطريق السريعةَ بين الفلوجة وبغداد كانت تَغص بآليات العدو المحترقة في منظرٍ يعود بالذاكرة إلى أيام سقوط النظام البائد والتدمير الشديد على طول الطرق لآلياته ومعداته.

في هذا اليوم أماط موقع (سكاي نيوز) اللثام عن أن ما يقـرب مـن (١٣٠) جندياً أمريكياً قُتِلوا في مواجهات الأمس في الرمادي..

في هذه الأيام المعضلة برز المذيع المشهور "أحمد منصور" كأحد اللاعبـين الكبار في هذه المعركة فتقاريره كانت قذائفَ تَقصفُ أركان الدعاية الإعلاميـة الأمريكية..

وأثبت بفِعاله وثباته أن الكلمة الحرة الصادقة تَعدِل ألف سيف ولعل ذلك بعض إيحاء قول المصطفى (صلى ا عليه وسلم) " أفضل الجهاد كلمة عـدل عنـد سلطان جائر"

ليس مثلي من يتحدث عن "أحمد منصور" فقد ملأ سمع العالم وبصره.. لكني أردت أن أنبه إلى حقيقةٍ كان ينبغي أن تكون جليةً واضحةً لكن ياللأسـف فقـد علاها كثير من الغبار وتراب الباطل..

الحقيقة هي أن الإعلامي المسلم ينبغي أن ينحاز إلى أمتـه ودينـه.. نعـم.. الإنصاف شعاره ولكن الإنصاف شيء غير الحياد.. فالحياد في الحياة لا مكان له، بل إما إلى فُسطاط الحق وإما إلى أودية الضلال والباطل.

تتابعت الأحداث وسطّرت بطولاتٌ يعبقُ التاريخُ بأريجهـا، وتتـسامى بهـا الفلوجة على الورى، ومِن ذلك أن قصفاً صب على الجولان ليلةَ الجمعة فجنْدل بعض الأبطال منهم أبو عمر الحلبوسي (رحمه ا)، وتقدم إليه أخوه فوجده وقد استأثرت بروحه الحور ـ إن شاء ا ـ وإلى جواره مهاجر سـوري أصـيب بجراحات بالغة، فعمد إليه فحمله وانطلق به سِراعاً إلى المستشفى يرجو إسعافه وترك أخاه الشقيقَ مطروحاً في وسط الطريق.. وتلك لَعمر ا أخلاق النبلاء[٦٠].

وتَقَدم أبو قتيبة – من الرمادي – وقد تَوشح بحزامٍ ناسفٍ في حـي "نَـزال" وتَعرض لراجِلَةٍ[٦١] أرادت التسلل فانطلق إليهم وقد حجز لهم تذاكر سفر مؤكـدة إلى جهنم فقَدمهم بين يديه فداء وقربانًا..

وأُسقِطَ في يد[٦٢] البقية فَولوا كحمرٍ مستَنْفِرة فَرتْ من قَسورة[٦٣].

مادت الأرض تحت أقدام الأمريكان وساورهم فَزع وجزع، وبـدتْ أمريكـا كمصارعٍ ذَهبتْ منتُه[٦٤]، وخارت قواه فهو ينتظر الضربة القاضيةَ، أو كجـريح يتَشَحطُ في دمه ينتظر رصاصة الرحمة.

لقد حدثنا الإخوة بعد ذلك أنهم كانوا في بغداد يخرجون في المساء في رحلـة صيد للبقر الأمريكي فيطوفون المدينة فلا يجدون لهم حِسا ولا أثراً.. كأن لـم يكونوا.

---

[60]- لو كان أخوه أحق من الثاني لوجب عليه إعانته قبلاً، والشيخ هنا أراد لفتة نظر ليس إلا.

[61]- الراجل من الجنود هو الراكب، بخلاف الماشي على رجليه.

[62]- أُسقط في يده أي ندم، وكأن الشيخ أراد هنا أنهم فشلوا.

[63]- "القسورة" من أسماء الأسد.

[64]- المنة بضم الميم القوة.

وأعجب من هذا ما حدث به الثقات من جهاتٍ متعددة أن حراس سجن "أبـي غريب" (سبةِ التاريخ وعار الأبد) تَقَطعت بهم الأسباب فنفِد الوقود حتى بركـت سياراتُهم في ساحات السجن من العطش.

وحملَهم الفَرق[65] فجاؤوا متَسولين سلامتَهم، وقالوا للمساجين: تعالَوا إلى خُطّة رشْد فلا نقاتلُكم ولا تقاتلوننا على أن نُسلمكم أسلحتنا إذا دوهم الـسجن مقابـلَ تَعهدِكم بسلامتنا.. وهم يرتَجِفُون هلَعاً كورقةٍ في ليلة عاصفة تَتَلَعب بها الريح.

تهاوت أسطورة الأمريكان، واجترأ عليهم كل شجاع وجبان وباختصار (لقـد مسح بها البلاط) .

أُسقِطَ في يد أمريكا، ووقَعت في حيص بيص[66]، وتَلَفتَتْ تَبحث فـي أوراقهـا المدخَرة فهداها شيطانها إلى "الجوكر" الذي طالما خبَأتْه لمثل هذا المأزق فَرمتْ به على الطاولة فقَلَبتْها، وابتدأ فصل جديد من المعركة .

أتدري أخي المسلم من هو الجوكر: إنه – وباختصار – الحزب الإسلامي أو الحزب السينمائي كما يحلو لبعض الإخوة أن يسميهم.[67]

لقد بدا أن مركب الإدارة الأمريكية قد غَرق في لُجةِ الجهاد وبحره المتلاطم، وكان مقتضى العقل السليم ومنطقُ السياسة المعيشية الصائبةِ فضلاً عن الواجب الشرعي والبدهية العقَدية أن يبادر الحزب بالقفز عن هذا المركب والانحياز إلى صف الأمة أو على الأقل الوقوف على الحياد[68] .

لكنهم أَبوا إلا أن يظَلوا على الإخلاص والولاء لسيد مجلسهم (مجلس الحكم)، وولِي نعمتهم الذي أغدق عليهم بوافر الكرم فاجتباهم واصطفاهم ليكونوا جنداً له

65- الفَرق هو الخوف.

66- وقعوا في حيص بيص أي في ضيقٍ وشدة.

67 - وذلك أنهم اتخذوا مقرهم في موقع السينما سابقاً. "أبو أنس".

68- سبق من الشيخ أن الحياد لا مكان له، فقصده هنا وا أعلم أنه إن لم تكونوا مع الحق فعلى الأقل لا تكونوا مع الباطل، مع أن الأصـل أن يكون الرجل مع الحق.

وأعواناً، وهذا فضلٌ لا ينْكَر ونعمةٌ لا تُكْفَر، ونحن -بني يعرب – تَعودنا أن نحفظ الأيادي البيضاء وأن من طَوقنا بأفضاله كنا له عبيدا...

على أية حال الحديث عن الدوافع والنيات ليس من شأننا فلندعه جانباً، فالذي يهمنا هنا هو أن الحزب الإسلامي دقّ صدره وتَقَحم حقل الأشواك منْقِذاً ومسعفاً وهو يروم نزع فتيل أزمةٍ كادت تُطيح بالمعادلة السياسية والعسكرية كلها.....

أقبلَ هؤلاء في صورة الشفوق الحاني والأم الرؤوم وهم يسحون دموع التماسيح لا على أهل الفلوجة بل على عبدة المسيح...

ولقد نَقَلت شركة (فرست هيد لاينز) في يوم الجمعة ١٩/ صفر/١٤٢٥ هجرية عن "بريمر" تصريحه بأنه يرغب في عقد اجتماع بين أعضاء مجلس الحكم والقيادات الإسلامية لإيقاف ثورة الفلوجة، وهو الذي كان يتهدد من قبل ويتوعد بالعقوبة الشاملة والانتقام العنيف..

ندري بحقيقة الموقف العسكري خارج الفلوجة وبدا لنا أن ما حصلناه من نصر وكسر لأنف أمريكا يكفينا في هذه المرحلة؛ فما حصل إنجاز ضخم بمقتضى المقاييس العسكرية.

وفي هذا الوقتِ وإتماماً لدائرةِ المكر خرج متحدثٌ في الفضائياتِ وتكنى بأبي مجاهد وزعم أنه قائد الجولان وهو من المقاومة الإسلامية الوطنية[٦٩] وأنه يوافق على الهدنة وأنه يمثّل قطاعاً كبيراً من المجاهدين..!!!

[69] - ثنائية لا تجتمع إلا في أحلام وعقول العصافير. "أبو أنس".

وأنا أُقسم بالذي رفع السماء بغير عمد أن هذا كذب.. لقد كان صاحبنا قائد مجموعة صغيرة عددها نحو (١٥) شخصاً يقفون عند القائمقامية (مركز المدينة) يحمِلون صورة الشيخ أحمد ياسين.

وللإنصاف فقد شارك عدد يسير منهم في منطقة حي "نزال" لكنهم لم يلْبثوا أن انسحبوا سريعاً.

وقد عاتبه الإخوة ووبخوه بعد الأحداث فاعتذر عما بدر.... ولكن ويااللأسف استمر هؤلاء بالتشبع بما لم يعطَوا؛ فضربة "جون أبي زيد" لهم[٧٠]، ومطار المثنى.. إلخ.. وإلى ا المشتكى.

واستغلّ هؤلاء هذا الخطأ وطَافَتْ وفُودهم في جولات مكوكية على المجاميع المجاهدة خارج الفلوجة يقْسِمون عليهم أيماناً مغَلاظة أن يكُفوا أيديهم وأن يمسِكوا عن القتال، ويفْتَرون كذباً على لسان أهل الفلوجة بأن هذا مطلبهم..

وطافت بعض عمائم الشر والهزيمة بدعوى السوء نفسِها:

أرى الإعلام ينْفُخ في أُناس............. تفوح ثيابهم مكراً وغدراً

عمائمهم تَأُف على انحراف.............تُباع بها مبادِئهم وتُشرى

فيا إخوانَنا صبراً جميلاً...............فإن لكم مع العسرين يسرا

وكَذَب هؤلاءِ على لسان الشيخ الفاضل عبدا الجنابي[٧١]، وافْتَروا عليه وزعموا أن ذلك رأي الشيخ.

خَفَتَ هدير الحربِ وسكَن لَهيبها، ووجم الأبطالُ، والْتَبس عليهم الأمر، ولم يدروا ماذا يصنعون، واغْتَنَمتْ أمريكا الفُرصة فالتَقَطَتْ أنفاسها، وأغاثَتْ

---

70 - يعني أنهم نسبوها لهم، وادعوا أنهم هم من نفذها.

71 -الشيخ عبد ا الجنابي أحد وجهاء الفلوجة وعالمها العامل، وقف مواقف الشجاعة ونطق بالحق يوم خَرس أكثر الناس، وثبت في ميدان الجهاد إلى آخر لحظة، وهو وإن كان متصوفاً في الجملةِ لكن التصوف بحمد ا لم يخَرب عقله، ولم يفسد فطرته، فكان له مواقف مشرفة وثبت ثباتَ الشم الرواسي فنسأل ا أن يجزيه عن الإسلام وأهله خير الجزاء. "أبو أنس".

جنودها وأعادتْ انتشارها وتَمركَزتْ على طُول الطريق، وتَحصنَت في نقـاطٍ أمنيةٍ مِنيعة..

بدا أن ما حصل كان فَخا تعاون الحزب مع الأمريكان على نَـسجِه ووقعنـا فيه.. ونَدِمنا ولاتَ ساعةَ مَنْدم.

نَدِمتُ ندامةً لو أن نفسـي تطاوعني إذاً لبتَرتُ خَمسِي[٧٢]
نَدِمتُ ندامةَ الكُسـعِي لما رأت عيناه ما صنَعت يداه[٧٣].

حاولنا بعد ذلك جاهدين أن نعيد الأمر جذَعاً[٧٤] كما كان، وأَرسـلْنا نـداءاتِ استغاثةٍ وصيحاتِ الاستِنْجادِ لكنّها ذَهبتْ أدراج الرياح، واصطَدمتْ بعـزمٍ قـد تَفارطَ، وهمةٍ قد انْتَقَضتْ.

[في هذا اليوم الخميس ١٨\صفر\١٤٢٥هـ - ١٨\٤\٢٠٠٤م]

أرسل إلي بطل الفلوجة وعالمها العامل الشيخ الشاب عمر عبد الجبار يسألني المرور عليهم والتعريج بهم، ففعلت.

كان يبدو في ذلك اليوم مرهقًا كسير القلب؛ فها هو لليوم الرابع مرابطٌ مجاهد لم يفْضِ بجنبه إلى فراشٍ ولم ينَلْ من الراحة إلا خَفَقَاتٍ على عجلٍ ووجل، كما واستشهد بالقصف وأثناء القتال عدد من أركان حربه وإخوان دربه.

كانت الوجوه شاحبةً والأنفس مرهقَةً والأرواح مكْدودةً.

بادرني أبو حفص عمر يسألني أن أقوم في الشباب واعظاً ومحرضاً.

72- أي الأصابع الخمس.

73- الكُسعي: اسمه محارب بن قيس من بني كُسيعة أو بني الكُسع بطْن من حِمير يضرب به المثَل في الندامةِ.

74- الجذع الصغير السن، والمراد هنا أننا وددنا لو يرجع الزمان إلى الوراء فلا نقع في ما وقعنا فيه."ميسرة"

شعرت بحرج[75] الموقف وخطورة الوضع فانْتُدِبتُ[76] فيهم خطيبا بما فـتح ا علي، وشعرتُ سريعا أن وجه الشيخ عمر قد أشرق، وبرقَتْ أساريره وتَفَجـر العزم منه موارا من جديد.

ودعتُه وبودي لو يودعني   صفو الحياةِ وأني لا أودعه

داخَلَني شعور غريب، وأنا أُعانقُه مودعا، كنتُ أشعر -حقيقة - أنه الـوداع الأخير. لقد رأيتُ في وجهه بريقًا ولَمعاناً سماويا يشِي[77] بأن الرجل لم يعد من أهل الأرض وأن السماء قد أبرقت له تدعوه للقدوم، ويوشك أن يجيب.

كنت بعدها أسالُ عنه كل غادٍ ورائِحٍ إذا سمعتُ جلَبةً من نحو حي الـضباط حيث كان يرابط أبو حفص، وكيف هو؟ حتى جاء الخبر الفاجعة.

في هذه الليلة صلى بهم ثم دعا وأطال الدعاء وبكى وأبكى ثـم الْتَفَـتَ إلـى إخوانه كالمودع وقال لهم موصِيا:

أقيموا الحدود في الفلوجة، وأَنْفِذوا فيها حكم ا .

انطَلَقَ كماردٍ[78] حطم قيوده والأغلالَ التي رسفَ فيهـا زمانًـا، وأَقْبَـلَ هـو وإخوانُه بِجِد يقصفون الأمريكان بالهاون، وتَمادوا فـي هـذا الأمـر وأَغْفَلـوا احتياطاتِ الأمن، ولم يرعهم إلا الطائراتُ تُحاق فوقهم وترسِـلُ لهـم مفـاتيح الجِنان قصفًا عنيفًا فَتَح لهم روزنَةً[79] إلى الآخرة فمضوا في قوافل الشهداء.

---

[75] - حِراج الظلماء ما كثُفَ والتَف، والمراد صعوبة الموقف.

[76] - أي دعيتُ فأجبتُ.

[77] - وشى به إلى السلطان أي سعى به، والمراد هنا أنها تُخبر.

[78] - التشبيه في العربية لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه، وقد وردت أحاديث شُبه فيها الفاعل بالشيطان مع أن المشَبه ليس شيطاناً حقيقيـاً، فهذا الأسلوب لا غبار عليه.

[79] - الروزنة الكُوة.

أحدثَ استشهاد أبي حفص، -نحسبه والله حسيبه-، مع نحو أربعةٍ من إخوانِه ثُلْما كبيراً فى جدار التحصين وفي نقطةٍ حساسةٍ وخَطرة، وذلك أن الأمريكان كانوا قد سيطروا على حي الصناعةِ واستَمكنوا من الشارع الرئيسِ الواصل إلى القائمقامية في عمقِ المدينة، وكان حي الضباط هو خط الدفاع الأول في صدهم وردهم ومنعِ تَوغلهم.

أبو حفص بطل السيف والقلم، خطيب مِصقَع[80]، فارع الطول، يسطو عليك بهيبة تُروعك لأول وهلَةٍ، لتَكْشِفَ لك من بعد عن نفس حانية وروح فَكِهةٍ وصفاءِ طَوية.

عرفْتُه وخالطْتُه عن قريب بعد أن أَبرقَ طالبا أن يبايع الشيخ وأن يلتحق بالركْب ولكنه سرعان ما تَرقّى في مدارج القلب واستولى على النفس والحب... فبدا لي أني أعرفه منذ دهور.

"والأرواح جنود مجندة فما تَعارفَ منها ائْتَلَف، وما تَنَاكر منها اخْتَلَف" رواه مسلم عن أبى هريرة والبخاري عن عائشة.

كان قَوالاً بالحق مجاهِرا بالدعوةِ إلي منهجِ السلف لا يني[81] عن محاربة الشرك والبدع حتى صار شَجى في حلوق المبتدعة فأورثَ قلوبهم حسرةً وفَضح عوارهم وكَشَفَ باطلهم.. فشَنوا علية الغارة سرا وجِهارا، حتى أفتى بعض أئمة الضلال بحرمة الصلاة خَلْفَه ورموه عن قوسٍ واحدةٍ فلم يضعفْ ولم يغَير ومضى ثابِتَ الخَطْوِ إلى القدر المحتوم.

---

[80]- خطيب مصقع أي بليغ.

[81]- ونى يني أي ضعف وفتُر.

فرحمة ا عليك أبا حفص، فشهادةٌ أنا أحببناك في ا ، ونسألُ ا َ أن يجمعنا بك في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وأَنْعِم عينًا فلن يهدأ لنا بالٌ ولن يقر لنا قَرار حتى نُطَبِقَ الشرع الحنيف لا في الفلوجة فقط ولا في العراق فحسب، وإنما على ربوع كوكبنا الأرضي كله بإذن ا .

استلم الرايةَ من بعده الأخ الفاضل أبو فاطمة وَأَثْبت أنه خير خَلَفٍ لخير سلَفٍ فَجد واجتهد وحفز الإخوة ولَملَم الجراح واستأنف المسير.

أبو فاطمةَ رجلٌ طُوالٌ مِغْوار[٨٢]، جاءه خبر مقتل أبيه، فتَرحم عليه وثَبتَ في موقعه مجاهدا ولم يدع ثَغْره ومضى يجاهد لا يلْوي على شيء.

كان حي الضباط مسرحا لمعارك شَرسةٍ، وكان فيه عدد من الإخوة السوريين أُصيب أكثرهم فسقطوا بين شهيد وجريح.

وأما واسطة عِقْد[٨٣] المجاهدين هناك والرقم الصعب في المعركة فكان الأخَ أبا خالد .

فلقد صب حمم الهاون (٦٠) على رؤوسهم وأصاب منهم مواجِع وأورثَهم فواجِع وكان ميمون النقيبةِ[٨٤] سعيد الحظ، صحِبه التوفيق الرباني في رمِيه (وما رميتَ إذْ رميتَ ولكن ا َ رمى).

---

[82]- أي طويل القامة وكثير الإغارة على الأعداء، فهو من الشجعان.

[83]- واسطة العِقد هي أفضل أحجار العقد.

[84]- ميمون النقيبة أي مبارك النفس.

حاول الأمريكان عبر المكر أن يتَسلّلوا إلي عرين الأسود، فتقدمت خلية منهم في سيارة إسعاف وحاولوا الفَتْك بالإخوة على حين غِرة فانتبه لهـم الكُمـاة[85] وأوردوهم حِياض المِنية وأسغوهم برصاص الموت.

لم تهدأ دائرة الحرب الزبون[86]، وأصيب عن قريب أبو فاطمة لكنـه تَحامـلَ على نفسه وداس آلَم الجِراح وأبى أن يسكن أو يرتاح، ومضى كالرياح مزمجِرا في نحور أعداء ا ورسوله.

وبعد نحو يومين أُصيب مرةً أخرى في قَصفٍ جوي عنيفٍ خَرج معـه مِـن ميدان المعركة للعلاج ومعه زميله ونائبه أبو خطاب.

وانقسم الإخوة مجموعتين بقيادة الأخوين أبي خالد وأبي مريم وبمساعدة الأخ أبي محمد وحملوا الراية جميعا متآزرين متكاتفين إلى نهايـة الأحـداث، فللـه درهم.

كانت الأحداث إلى هذا اليوم مستَعِرةً وُأوار المعركةِ ولَهيبها مضطَرما داخلَ الفلوجة و خارجها، واستطاع الإخوة في الرمادي أن يسقِطُوها في أيديهم ولـم يعد يرى فيها أمريكي ولا شرطي أو جندي من المرتدين أحذيةِ الكافرين.

وقاد الأخ أبو مارية المجاميع بجدارة واقتدار، وأشعل بإقدامـه فـيهم فتيـل النشاط والجرأة، ولم يلْبثْ أن سقَط - رحمه ا - صريعا برصـاص رتـل أمريكي من ناحية بيته في "البوعبيد" من ضواحي الرمادي رآهم فلـم يـستطع

85- الكماة جمع كلمة"الكمِي" وهو الشجاع المتغطي بسلاحه.

86- حرب زبون أي تصدِمهم وتدفعهم.

الصمتَ وانْتُدِب وحده في مواجهةِ الرتْل فأصلاه بقذيفة "آر بي جي" ، وأصاب منهم، ولكن الكثرة غَلَبت الشجاعةَ، فتمكنوا منه .

وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فرده * إليـه الحِفـاظُ والخُلـقُ الوعـر
ونفس تَعافُ العـار حتى كأنـه * هو الكفر يوم الروعِ أو دونه الكفر
فَأثْبتَ في مستنقع المـوتِ رِجلَه* وقال لها من تحتِ أَخْمصِكِ الحشْر[٨٧]

فمضى إلى الجنات راح مجاهدا وشهيدا، نحسبه و ا حسيبه.

أبو مارية (رحمه ا) أحد رجالات العراق أدبا وخُلقًا خطيب مفَوه، عـذْب الصوت بالقرآن، وكان شيخُنا يتَحسر بعد ذلك ويقول : تمنيت لو سـجل لـي القرآن بصوته.

وقد أمره على الإخوة في منطقة الرمادي فكان نِعم الأمير، قُتل فكأنما فُـصل الرأس فخمد الجسد، وخارت همة الإخوة هناك وخَبا فيهم الحمـاس، وإلـى ا المشتكى[٨٨].

وها هنا ملاحظة عجيبة في هذا الجزء الكريم من أرض الإسلام، لقد وجدنا بالاستقراء أن أكثر أمراء المجاميع إنما هم أئمة وخطباء وطلبةُ علمٍ على منهج السلف اشْتَغَلوا بالتدريس وتربية الشباب وجمعِهم على العقيدة النقية الـصافية، فلما وقعت الحاقة، وقَرعتْ قارعةُ الاحتلال البلاد، قاموا مع تلامِذَتِهم يتَمثلـون الآياتِ والأحاديثَ التي كانت حديثَ مجالِسِهم وسميرهم في لياليهم.

87- خلاصة معنى الأبيات أنه كان بإمكانه الفرار وتجنب الموت إلا أن حفاظه على الحرمات وخوف العار جعله يقبل على الموت ولا يبـالي، والأجر في الآخرة.

88 ولكن – وبحمد ا – وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، أرسل إليهم الشيخُ أميرا جديدا فأعاد الحرب جذَعة واشتعل وميض النار من بـين الرماد، وكان لهم نكايةٌ في العدو وأصابوه بِقَوارِ في مواقع متفرقةٍ ولولا التكتيم الإعلامي لرأى الناس قُرةَ العين، وذاقوا بهجة النفوس بجهـاد هؤلاء الأبطال، والحمد على نِعمه. "أبو أنس".

صناعة قرآنية :

هذا هو الفرق بين العقل السني السلفي السنَني الذي تَشَكل في ظلال القـرآن وتم تكامله في حدائق السنة الغَناء، فتَعلم أساليب التغيير وإدراك سـنَن ا فـي الآفاق في حركة المجتمعات أفرادا وطوائفَ ودولاً فمضى يشُق طريقَـه علـى نورٍ من ا وبصيرة.

وبين العقول الإسلامية التي نَبتَتْ ورعتْ في أرضٍ فكريـة غريبـة أو قُـلْ هجِينة خُلِطَ فيه الكلأُ الطيب مع السم الزعاف، فاختل الميزان وتَشَوشَ النظـر وانحرفت أدوات التغيير، ويمكننا أن نرصد هنا اتجـاهين فـي ميـدان الفعـل والحركة.

الأول : العقل الصوفي.. هذا الذي ألغى المادة ونَبذَ التعاملَ بالأسباب وهـوم مع الترانيم والتوشيحات، وكلما ضاقت بهم الأرض أو تَزلْزلَت أقـدامهم أمـام زحفِ الكفر الضاغِطِ فَزِعوا إلى قبور الأولياء ودعاء الأموات كما كان يقـول قائلهم : "يا خائفين من التتر لُوذوا بقبر أبي عمر".

وربما هتفوا مكبرين وبكَوا داعين ا بالنصر والفتـك بالأعـداء وأن يهلـك الكفار في مشهدٍ بكائي درامي يذَكرك بمواكِبِ اللطْم.

وهو ما نشهده هنا من القلة القليلة الباقية من مشايخ التصوف والدروشة، فأنت لا تَجِد لهم أثر الجهادِ ولا حركةً في الميدان، وغايةُ جهادهم أناشـيد يـذِيعونها ودعواتٌ يرددونها، إلا من رحم ا .

وهذا يذَكرك بما حصلَ في مصر حين قَدِمتْ جيوشُ الإفرنـسيس واجتـاحوا البلاد والعباد فَتْكاً وقتلاً فهرع شيوخ الأزهر لا إلى السلاح والكفاح، بل إلـى صحيح البخاري يقْرؤونه يرجون بركَتَه والانتصار على جيش الكفر بتلاوته.

وكلما ازدادوا تلاوة ازداد العدو تَغَولاً[89] وتَوغلاً حتى قال لهم الخديوي: "إما أنكم لستم علماء أو أن هذا ليس صحيح البخاري".

وكلا النتيجتين خطأٌ، لكن ا الذي أمرنا أن نُعِد ما استطعنا من قوة وأن نَتبع الأسباب الكونية (فَأَتْبَع سببا) لم يجعل تلاوة البخاري أو قراءة القرآن أو مجرد التكبير سببا لقهر الأعداء والغَلَبِ على الكفار.

إن التكبير النافع هو تكبير المجاهد وهو يرمي الأعداء بحممِه ويـذيقهم حـر لَظى فيكون التكبير زلزلةً لهم وزعزعةً لأركانهم بإذن ا تعالى، وسيرةُ النبي ملأى بتطبيقه لهذه السنن الكونية وأخذه للأسباب الماديةِ من التوكل علـى رب البرية.

عمود الدين لن يقْوى بتسبيحٍ وتَهليلِ ولن يحدو بنا أملٌ بدعوى القال والقيل
فغير السيف لا يجدي يمينًا فِتْيةَ الجيل

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الغالب والمسيطر على ساحة الفعل الإسـلامي.. وهو الاتجاه الذي أدرك أهمية الأسباب وضرورةَ التعامل مع الـسنن، ولكنـه انحرف بعيداً عن الهدي الإلهي واستبدل بالهدي النبوي الهدي الغربي والنموذج الأوربي في الفعل والتغيير.

فاتخذ المظاهراتِ مطِيةً والاعتصاماتِ جنةً وعرائِض الالتماس والاسـتجداءِ وسيلةً.

ويعجب المؤمن المراقِب وهو يراهم وهم يعبِئون الأمة لجهاد المهرجانـات ويفْرغون حماس الشعوب في مسيراتٍ سلميةٍ تُبح فيها الأصوات وتُشَق الحلوق

89- أي ازداد إهلاكاً وتقدماً في الأراضي.

بالهتافات ثم ينْفَض السامر وينتهي الحفلُ وتعود كتائب المجاهدين البواسل إلى قواعدها آمنةً بعد أن أَصمتْ آذان عدوها بالشتم والتقبيح، ومزقّت جيشَه بدوس الأعلامِ وحرق الدمى.

وغير بعيدٍ منا ما دعتْ إليه هيئة علماء المسلمين في العراق من مظاهرات سلمية ومناشداتٍ لأحرار العالم لفك الحصار ودفع البلاء عن أهل الفلوجة، ويعجب المؤمن مرةً أخرى ويتساءل وهو يضرب كفا بكف: ألم يسمع هؤلاء قول ا تعالى: (يا أَيها النبي حرضِ الْمؤْمِنين علَى الْقِتَال...).(الأنفال:٦٥) أَولَم يعلم هؤلاء أن ا سبحانه قال:

(وأَعِدواْ لَهم ما استَطَعتُم) (الأنفال :٦٠) ثم يكون بعد ذلك التوكل.

وهل بقي لهؤلاء من عذر وهم يرون أفرادا قلائلَ وأعدادا يسيرة من المجاهدين وقد مرغوا أنفَ أمريكا بالتراب وأَلْصقوه بالرغَام[90].

فهذه مساراتُ المجتمع.. لِيهلِك من هلَك عن بينَةٍ ويحيى من حي عن بينَة (والحمد رب العالمين).

إن هناك فرقًا كبيرا بين إدراك المفردات وحفظ المتون وسردِ المسائل... وبين صناعة العقل.

فالعقل هو الآلة التي تَدخُل فيها هذه المفردات لِينْتِج لنا مخْرجاتٍ تتشكل بحسب هذا العقل.

90- الرغام التراب.

إن هناك فرقًا كبيرا بين من يسلِم عقلَه للقرآن والسنة يصنعانِه صناعةً ربانية. فإذا أُدخِلَت إليه المفْردات أَنْتَج لنا مخْرجاتٍ ربانيةً ومنهاجا حركيـا قرآنيـا، وبين من يرد حوضَ القرآن والسنة بعقلٍ قد تَشَكل علـى موائـد ونُفَاضـات[91] مزاودِ[92] البشر المتَهوكين[93].

إن الخلل هو في النظام المعرفي والمنهجيةِ العقلية ... بين السلَفي والبِـدعي، ولذلك فهما على طرفي نقيض، وشتان بين مشَرقٍ ومغَرب.

تنبيه مهم:

يتزامن نزول هذه الحلقة مع اشتعال الحرب جذَعةً[94] مرة أخرى – بحمد ا –

وينبغي أن يعلم الجميع أننا جئنا إلى هنا ونحن ندرك أن المعركة الحقيقية هي مع المنافقين والمرتدين من بني جِلْدتِنا، وقد كان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي قد ضمن هذه النظْرة، وبين هذه الحقيقة في رسالته إلى الشيخ أسامة بن لادن والتي وقعت في أيدي الأمريكان.

وكنا نتهيأ لهذا اليوم ونُعبئ له القلـوب والعقـول بِلقـاح الأدلـة الـشرعية مستحضرين التجارب التاريخية في الأعصر المتأخرة.

ومنذ وضعت حرب الأحزاب في الفلوجة أوزارها ونحن في سباقٍ محمـوم، وسعي دؤوب للتحضير لمعركة الفتح المبين التي انطلقت شَـرارتها، وسـيعظُم أُوارها ويمتَد لَهيبها بإذن ا وصولاً إلى التمكين والفتح المبين.

91- النفاضة بضم النون ما سقط من الشيء إذا نُفضَ.
92- المزاود جمع كلمة مزادة وهي ما يوضع فيه الماء كزاد.
93- المتهوك هوالمتحير.
94- الجذع الصغير السن، والمراد هنا أننا وددنا لو يرجع الزمان إلى الوراء فلا نقع في ما وقعنا فيه.

وكان من صنيع الله لشيخنا أبي مصعب الزرقاوي أن جمع حوله القلوب وأعلنت الأفئدة بحبه، وانقاد له كثير من الإخوة السلفيين وأعلنوا له الولاء وأعطَوه صفقة أيديهم وثمرةَ قلوبهم والحمد لله رب العالمين.

لقد كان المرتدون من بني جِلْدتنا يحِدون سيوفهم ويتَحفزون للبطش بنا والوكالةِ في هذا الأمر عن سيدهم الأبيض. . .

وكان لابد من المبادرة وأن نتغدى بهم قبل أن يتَعشوا بنا، ولذلك فقد حدد الشيخ أبو مصعب الزرقاوي ساعة الصفر وأمر بانطلاق إشارة البدء وشرارة الحرب قبل موعد هجومهم علينا بيومٍ واحد وها قد انطلق قطار الجهاد ولن يقف إن شاء الله دون محطة الخلافة. . .

عودة إلى الأحداث

أثناء هذا كانت شوارع الفلوجة تَغُص بالمقاتلين الملثمين وحملة السلاح، وكنتَ تراهم منشورين مد البصر. . .

وشكّل هذا الأمر عبئاً علينا لأن قيادة مثل هذه الأعدادِ الغفيرة مع فُقْدانها للتدريب وخُلُوها أيضا من المواثيق والعهود التي تُلْزمها بالطاعة لك والانقياد أمر في غاية الصعوبة. . .

وحصلَ إرباك شديد في الساحة، وكان حي الجولان قد انتَزع دفةَ القيادة وصار قاعدةً للقادة ومركزاً للتوجيه، ومجمعاً يلتقي فيه الإخوة الكبار لتقرير المواقف ويأتي إليه المجاهدون لتَلَقي الأوامر وطلب الإمداد والأعداد. . .

وبرز أبو خطاب قائداً فذّاً استطاع بهمةٍ دؤوب وعزمٍ لا يلين و صدرٍ يسع الجميع أن يكون الرقْم الأصعب في الميدان. . .

أما أبو عزام البطل الهمام فقد كان الأمير لعموم الإخوة، ومع صغر سنه وحداثة تجربته لكنه تألّق بآرائه السديدة وحسن نظره، مع وفُور عقْلٍ وكمال أدب. . .

أبو مجاهد نائب الأمير، وفي ظل الغياب المتكرر لأبي عزام في مهمات خارجية ملحة كان يقع على كاهله العبء الأكبر، وقد قام بالأمانة خير قيام.

هؤلاء الثلاثةُ إضافةً إلى أبي أوس (صاحب القوس)[95] الأمير العسكري للإخوة هم الذين قادوا المعركة وساسوا أحداثها. . . حتى أرقَوُوا بسفينة الجهاد إلى شاطئ النصر والفخر ومن ورائهم كانت أعداد غفيرة من الجنود المجهولين عند البشر، وحسبهم أن الله يعلمهم، وكفى به سبحانه. . .

وكان الخيطُ الدقيقُ والصفةُ المشتركةُ التي تَربِط هذه الأرواح هو المنهج السلفي، وكان هذا واضحاً جلياً في ساحة المعركة، وكنت ألْمِسه واضحاً أثناء تَطْوافِي على الثغور.

وألقى الله في روعي نكتةً سطرها يراعي أحببتُ أن يشاركني فيها أهل الإسلام. . . فهلُم يا شباب الأمة:

إن من عجائب قدرة الله في الأنفس والآفاق صفةً عجيبةً يبصِرها الناظر المتئِد ويلْحظُها الفاحِص المتأمل... هذه الصفة هي **إخراج الشيء من نقيضه**، ولنضرب لذلك أمثلة:

أولاً: (يخْرِج الْحي مِن الْميتِ ويخْرِج الْميتَ مِن الْحي...) (الروم:١٩) وقد قيل في تفسيرها: يخرج البيضة الميتة من الدجاجة ويخرج الدجاجة من البيضة، ويخرج الشجرة من البذرة، ويخرج البذرة من الشجرة.

95- الشيخ رحمه الله كان يحب المداعبة اللفظية كثيراً من باب السجع.

وقول آخر أسد: يخْرِج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، وشاهد ذلك حديث الشيخين عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً (مثَلُ الذي يـذكر ربـه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت).

ثانيا: في حِجر فرعون وبين جدران قَصرِه وعلى مائدةِ طعامه وبيدِه لا بِيـدِ غيره أنشأ ا كليمه موسى ليكون هادم الشرك وقامع الكفر الفرعـوني، وهـي سنة ا الساخرة من الكافرين لِيبين وهاء بناءِ الكفر وضعفَ مكْره (وإن كـان مكْرهم لِتَزولَ منه الجبالُ)؛ أي ما كان مكْرهم لتزول منه الجبال بل هو أضعف من ذلك وأهون وهذا هو المعنى الصحيح لا كما يتَبادر إلى ذهن كثيرين[96].

ثالثاً: ومثل ذلك قوله تعالى: (إِن الذِين كَفَروا ينفِقُون أَموالَهم لِيـصدوا عـن سبِيل اللّهِ فَسينفِقُونَها ثُم تَكُون علَيهِم حسرةً ثُم يغْلَبون والذِين كَفَروا إِلَى جهـنم يحشَرون) (الأنفال :٣٦)

ونكتفي بهذه الأمثلة لنجيب على سؤال قد يتقافز إلى ذهن قارئٍ لماحٍ فيقول ما علاقةُ هذه السنة بأحداث الفلوجة وظروف الحصار؟

فأقول مسارعاً: لقد لَمسنا هذه السنة واضحةً ساطعة في الأحداث التي نعيشها وتُظَلِّلُنا آثارها، فالفلوجة أو مدينةُ المساجد كما تُسمى معقِلٌ من معاقِل التصوف ومركز للدروشة، وأهلُها وإن كان يغلب عليهم التدين ويميزهم الحفاظ وينقادون بحب وتعظيمٍ لأهل الدين إلا أن النزعة الصوفية -كما قلتُ- هي الغالبةُ، وهي سِمةُ الأكثر والأعم من أئمة المساجد.

والدعوة السلفية الراشدة فيها حديثةٌ ناشئةٌ، وأهلُها غرباء محاربون تُلْصقُ بهم كل نقيصةٍ وينْبزون بكل سوء من كراهة النبي صلى ا عليه وسلم إلى بغـضِ

96- الصواب أن الآية بهذا الضبط معناها كما ذكر الشيخ لا كما يفهم كثير من العوام، ولكن هناك قراءة متواترة بفتح اللام الأولى وضم الثانية من كلمة "لَتزولُ"، فتصير "إن" مخففة من الثقيلة واللام فارقة، بينما هي في سياق الشيخ أعلاه نافية واللام لام الجحود، فعلى الرواية الأخـرى المعنى أن مكرهم كبير حتى أن الجبال تزول منها، ولكنهم لن يهزموا ا تعالى.

الأولياء إلى الوهابية. . . إلخ من قائمةٍ مكرورةٍ ممجوجـة، حتـى إذا حمِـي الوطيس واحمرت الحِدق وأَجلَب الكفر بخيله ورجِله وعمد إلى المدينة يقْـصد استباحتَها وانتهاك حرمتِها فَر كثيرون وطارت العمائم واختفى أهل الدروشة.

وتَطُوف بالثغور وتمر على أطراف المدينة فلا تكاد تجد إلا الـسلفيين فـي خنادقهم وأصابِعهم على الزناد وقلوبهم موصولةٌ برب العباد يذودون عن الحِمى ويدافعون عن الديار ويدفَعون في نحور الأعداء.

ونحن نسأل ا أن تكون هذه المواقفُ شرارةَ انطلاقةٍ وتمكينٍ للدعوة السلفية الراشدة التي تَصوغ الدنيا وتُطَوع سنن ا في الأنفس والآفاق تمكيناً للدين وذباً عن الملة لتكون الفلوجة - مرتع التصوف وقاعدة الدروشة فيما مضى - واحةَ السلفية وملاذاً لأهل التوحيد ورائدةً للمنهج السديد، ومع ذلك فإعمالاً للإنـصاف ومنعاً للاعتساف فلا بد لنا أن نقرر أن هناك من الصوفية غير الغالين ممن لـم تُفْسِد أمزجتهم جرثومةُ التصوف وكذا من العامة البسطاء ذوي النياتِ الحـسنةِ والفِطَر السليمةِ من كان له أثر وإسهام، وشجاعةٌ وإقدام، وحسن بلاء في هـذه النازلة، وإنما كان ما قدمناه توصيفاً للطابع العام والصفة الغالبة.

وما قلناه عن انتصاب أصحاب المنهج السلفي مجاهدين مدافعين عن الفلوجـة وهو الصفة الغالبة على المجاميع المجاهدة في طول العراق وعرضه فمن بـين المنهج الصوفي الذي طأطأ أكثر رجاله رؤوسـهم للريـاح الغالبـة، ومـضوا يمسكون زمام الخيل للعدو الصائِل إحياء لسنةِ سابِقِهم الذي أخذ بزمـام فـرس "هولاكو" حين اجتاح بغداد وهو يترنم شاديا بقوله تعالى (وما كان لِمؤْمِنٍ ولَـا مؤْمِنَةٍ إِذَا قَضى الله ورسولُه أَمرا أَن يكُون لَهم الْخِيرةُ مِن أَمرِهِم ومن يعـصِ الله ورسولَه فَقَد ضل ضلَالًا مبِينًا) (الأحزاب :٣٦)، وبين المـنهج الإخـواني

القائم على الاستجداء والبكاء والنحيب واللطم وشق الجيـوبِ كوسـيلةٍ ناجعـةٍ وأسلوبٍ آمنٍ لنَيل الحقوق واسترداد السيادة.

من بين هذين المنهجين برز أهل المنهج السلفي متَوشحين بأسـباب التغييـر الإلهي آخذين بسنن النصر القرآنيةِ فرفعوا رايـة الجهـاد ومـضوا بعزيمـةٍ وإصرارٍ يصاولون العدو ويثْخِنُون فيه الجراح في ملحمةٍ بدأت أصـولُها ولـم تَستَكْمِل بعد فصولها. .

ودعونا نقرر هنا حقائقَ مهمةً:

أولاً: لا شك أن الدعوةَ السلفيةَ حديثةُ العهدِ في هذه البلاد، بـدأَتْ تَباشـيرها وتَسللَ نورها مع انتهاء غزو العراق للكويت، وهي ماضـيةٌ بحمـد ا تَـشُق طريقها بعزم، وتقتحم أسواراً تاريخيةً منيعةً باقتدارٍ في ظرفٍ تـاريخي يمثـل فرصة ذهبية لأهل هذا المنهج لينشروه بعد أن يسقُوه بدمائهم.

ثانياً: من الإنصاف هنا أن نقرر أن هذه الدعوة قامت على أكتـاف مـشايخ الجزيرة كتبِهم ومحاضراتِهم ورسائِلهم وفتاواهم كالشيخ ابـن بـاز والعثيمـين خاصة، ومشايخ الجزيرة عامة إضافة إلى الشيخ الألباني. .

ثالثاً: المشهور المشهود من دعوة مشايخ الجزيرة عموماً أنهم يقَدمون اك علماً نظرياً ومفاهيم عقَديةً صحيحةً في الجملة ثم يقفون إلى هنا ولا يترجمون هـذه التصورات إلى مناهج عمليةٍ يتسلح بها المؤمن ويهتدي بـسناها فـي حركتِـه وسعيه في هذه الحياة.

رابعاً: وهنا يجيء الحدث الحاسم والنازلةُ الكبرى التي هزت كيـان العـالم وقدمت الأنموذج الجهادي الحي الذي حرك الهمم وأَحيى العزائم وأيقـظَ روح الجهادِ والاستشهادِ في قلوب شباب الأمة وعبأ تياراً عريضاً هنا فـي العـراق يتَحرق شوقاً لتكرار هذا النموذج وإحياء هذا المثال، وأعنـي بـذلك غزوتـي نيويورك وواشنطن.

خامساً: وآية ذلك أنك تجد أن السلفية قد تَشَعبت هنا في العـراق كمـا فـي مواطن كثيرةٍ إلى فرقتين؛ فأما الفرقة التي باركت غزواتِ أمريكا[٩٧] وامتدحتْها وتفاعلت معها فهي الفِرقة التي ترفع الآن لواء الجهاد ورايةَ الفِداء، وأما الفِرقة التي صغَتْ بقلبها إلى ضجيج علماء السلاطين في الحجاز فهـؤلاء قَعـدةٌ بـل مخَذلُون، ويكاد ينطبق عليهم قوله تعالى (..لَو نَعلَم قِتَالاً لاتبعنَاكُم هـم لِلْكُفْـر يومئِذٍ أَقْرب مِنْهم لِلإِيمان ..)(آل عمران:١٦٧) ، وهم جماعةُ (بعدين) أو كمـا يسميهم بعض المجاهدين الظرفاء "السلفية القاديانية" (معلوم أن "أحمد القادياني" ركز على إلغاء الجهاد ولذلك أعلت إنجلترا شأنه ودعمتْه).

سادساً: هذا الواقع الموصوف ينبغي أن يدفع الصادقين من أهل العلـم ممـن تَورطَ في انتقاد تلك الأحداث وإعلان النكير على أهلها بزعمِ أنها مضرةٌ غالبة وشَر فائق إلى أن يراجعوا مواقفهم ويعيدوا وزن حساباتهم من جديد، فإني أكاد أَجزم عن تجربةٍ ومخالطَةٍ أن هذا الحدثَ كان هو الأرضيةَ الخِصبةَ التي قـام عليها بنيان الجهادِ الحاصِل في العراق وهو الشرارة التي تفاعلت فأحدثت هـذا الحريقَ الهائلَ الذي اكتوى بناره الأعداء في أرض الرافدين، ولا يدري إلا ا

97- يقصد الشيخ غزوات القاعدة على أمريكا وليس غزو أمريكا للمسلمين كما يتضح عند أدنى تأمل.

كيف كانت ستكون الصورة في العراق لو أن ا لم يقَدر تلك الأحداثَ الجسام وذاك الفداء والاستبسال في غزوتي نيويورك وواشنطن.

استشهد في هذه الأيام – نحسبه وا حسيبه – إمام مسجد المعاضيدي الشيخ عثمان وكان على تصوفه مجاهدا مقداما وقد آوى كثيرا من الإخوة المهاجرين ...

ومسجد المعاضيدي هذا له بريقٌ خاص فهو يقع في أطراف الجولان في نهاية الفلوجة ولكنه كان في قلب الأحداث ...

فمنارته لعلوها اتخذها الأمريكان قاعدةً للقناصة وقد جاء الشباب واستَفْتَوني في ضرب المنارة بالصواريخ لأن ذلك هو السبيلُ الوحيد للقضاء على خطر القناصة... فأفتيتهم بالجواز وذلك أن **قطرة دم من مسلم أغلى عند ا من منارات مساجد الدنيا**... وقد تَكرر هذا الأمر أيضا في مسجد الخلفاء والسامرائي... وغيرها من المساجد وكان خاتمةُ المطاف أن منارة المعاضيدي سقطت تُعانِقُ الأرض بسبب القصف الأمريكي عندما تغيرت رياح المعركة واتخذها الشباب المجاهد قاعدةً لهم.

وقد حاول الأمريكان في هذا اليوم الاستيلاء على منارة مسجد السامرائي في حي "نَزال" وانبرى لهم أسد الجولان أبو الخطاب في سرية طاردت فُلُولهم وكنَست آثارهم، فَولوا الأدبار، وأذن أبو خطاب في المسجد معلِناً بأذانه نصر ا وهزيمة الأمريكان.

كما وحاولوا السيطرة على مناراتِ مسجد الخلفاء فصب عليهم الشباب حمم صواريخ الآر بي جي و C5K فارتدوا على أعقابهم خائبين.

وقد أصدرت هيئةُ العلماء بياناتٍ تستنكر فيه وبشدةٍ استهدافَ المساجد[98]

وفي الحقيقة فقد كان سلاح القناصة من أنكى الأسلحة وأوقع فينـا كثيـرا... وكان هؤلاءِ القساةُ العتاة لا يفَرقون بين مجاهدٍ ولا امرأةٍ ولا سيارةِ إسعافٍ... فقد كان كل متحرك هدفاً لهم مشروعاً.

ولم نجد لهم حلاً أنجح من القناص، فالقناص دواؤه القنـاص، وعلـى قلـة الكوادر في هذا الباب والمتْقِنين لهذا الفن فقد أبلى (قناصونا) بلاء حسنًا وقلموا أظفار قناصة العدو – بحمد .

وقد اعترف العدو في هذا اليوم بسقوط قناصين أمريكيين على يـد قناصـة الإسلام.

لا يسعنا هنا أن نُغْمِض العين وأن نطوي الصفحة قبـل أن نُـشيد بـالحرائر الصابرات على الدوائر والمخَدرات في بيوتهن... فقد ثَبتَ عـدد كبيـر مـن العوائل وتآزر رجالها ونساؤها وكانوا نِعم العون لنا. فأمور الطعام والـشراب وغَسلُ الثياب... إلى غير ذلك من المستلزمات الضرورية والمـددِ الأساسـي لمسيرة الجهاد قام بها أولئك الجنود المجهولون.

وهكذا تظل المرأة المسلمة حجر الأساس وقاعدةَ البناء في كل جهاد... وهكذا فلتكن النساء.

98- لاحظ أخي هذا القيد "وبشدة" مخافةَ أن يقع في وهلك أن العلماء قَصروا أو لانوا... لا فلقد استنكروا وبشدة!!! "أبو أنس".

في هذا الوقتِ انْتُدِب الأسد الهصور، والشجاع الجسور أبو عبد ا البغدادي رسولاً بينا وبين أهل بغداد وكان يوقِر[99] راحلته في كل رحلةٍ أسلحةً وعتادا.

وإذا لم تَخُني الذاكرةُ فقد أُردفَنا في هذا اليوم بخمسة من الإخوة الأكراد منهم الأخ "جند ا " رحمه ا ... ولعل قصته تأتي لاحقًا...

وتقدم هؤلاء الأكراد إلى الصفوف الأولى وبقُوا مرابطين في نحر العدو إلى آخر لحظة في المعركة.

وقد كنتُ أَشَرتُ عليهم أن يكْشِفُوا للناس هويتَهم وألا يخْفُوا جِنْسهم وأن يستَعلِنوا بهذا الأمر حتى يثْبِتوا للأمة أن الأكراد أحفاد صلاح الدين مازال ولاؤهم وحبهم لهذا الدين ولأهله وإن غَشِيتْ أرضهم غاشيةٌ سوداء من غواشي الكفر والردة على يد الطالباني والبرزاني وحزبيهما...

قد تسامع الناس أن البشمركة – جند الطالباني – قد شاركوا في الحرب إلى جوار الأمريكان وكذا "فيلق الغدر بدر" وقد اعترف بذلك بعض أعضاء مجلس الحكم.

وقد أعلنت وكالات الأنباء في يوم السبت (٤/١٠) عن مقتل ٢٠ من البشمركة.

وقد حدثنا عدد من الثقات من أهل المدينة أنهم شاهدوهم في السيطرات الأمريكية وأنهم سبوهم وشتموهم هم وسائر أهل الفلوجة بحقد وغيظ.

[99]- الوِقْر هو الحِمل، أي كان يحملُ راحلته.

[الجمعة ١٩ /صفر/ ١٤٢٥ هـ - الموافق ٤/٩ /٢٠٠٤ م]

انفجر الفجر مع انفجارات القصف والعصف المستمرة... وبدت المدينة خاويةً على عروشها والناس في حذر ووجل.

وأَقْبلَت غربان الشر فقصفت (ف١٦) منطقة "نَزال" ودارت معارك ضـاريةٌ في الجولان واعترف الأمريكان بسقوط ١٢ قتيلاً أمريكياً.

كما ودمر الأبطالُ ٨ دبابات وأحرقوا ٦ سيارات همر... وانتقم الأمريكان من مصور عراقي يعمل لصالح (القدس برس) فقتلوه بدم بارد.

واعترف أحد قادتهم ببسالةِ أبطال الإسلام قائلاً: "إنهم يبقَون إلى أن يقْتُلوا أو يقْتَلوا".

وما لهم لا يفْعلون وهم يقرؤون قوله تعالى: "فليقاتل فـي سـبيل ا الـذين يشْرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل ا فيقْتَلْ أو يغْلِـب فـسوفَ نُؤْتيه أجراً عظيماً".

وانتظرنا خطب الجمعة وَأرهفْنا آذانَنا وتتبعنا الأخبار ونحن نُمني أنفـسنا أن نجد فُتْيا صريحةً أو حضا وتحريضا.

واشْرَأبت الأعناقُ نحو رئيس هيئة علماء المسلمين في العراق ننتظـر منـه صرخة وإعلانًا صريحا، وتَمخض الجمل فولَد فأرا ..!

كان غايةُ ما اجترأ على النطق بـه أن أفتـى بوجـوب مقاطعـة البـضائع الأمريكية! لقد كنا في واد وكان هو في واد آخر.

سارت مشَرقَةً وسِرتُ مغَربا شتان بين مشرق ومغرب

تَلَفتْنا حولَنا نبحث عن وارثٍ لابن تيمية أو نظيرٍ لأحمد بن حنبـل أو سـمِي للعز بن عبد السلام ويا للأسف فقد رجعتْ ركائِبنا خائبةً وارتَد البصر كـسيرا حسيرا وانطوى القلب على ألمٍ ممِض وشعور بالأسى.

لقد كنا نشعر أن الأمة خَذَلَتْنا وأسلَمتْنا لعدو شَرسٍ ومكْرٍ كُبـار... وهـي تتفرج من بعيدٍ لا تَجود لنا إلا بدموعٍ لا تُسمِن ولا تُغْني من جوع.

مع تَضيفِ[١٠٠] الشمس للغروب في هذا اليوم بـدأت طـائرات الهيلوكـوبتر بالانسحاب من سماءِ المدينة ولم تَعد تَجرؤعلى التحليق مفْسِحةً المجالَ للطيران الحربي... وكان هذا إعلانًا غير صريح بانكسار الموجة وفَشَل الخُطة...

وقد أصيب في القصف ليلاً أبو عمر الحلبوس شهيدا – نحـسبه- فـسقَطَ يتَضرج بدمائه، وجرح الأخ أبو إبراهيم المصري جرحا أَقْعده عن المعركة عدةَ أيامٍ عاد من بعدِها ليعاود الجهاد والجِلاد.

وجهد العدو في هذا اليومِ خمس مراتٍ في أن يقْتَحِم المدينةَ من مسارب شتّى منها مرتان في الجولان؛ كل ذلك يصطدم بإرادةٍ لا تَعرفُ القهـرا، وعزيمـةٍ وضاءة كبرى... وأُسقِطَت مروحيتان: واحـدةٌ فـي الجـولان والثانيـةُ فـي العسكري...

كما وأسقطت اثنتان أخريان في منطقة الكرمة... واعترف "كيمـت" بـسقوط ١٥ جنديا أمريكيا...

وأما مصاب أهل الإسلام فبلغ إلى هذا اليوم نحوا من (٣٠٠) قتيـل و(٥٠٠) جريح.

100- أي اقتربت.

طُوِيتْ صفحةُ الخميس وحل الظلام وهل[١٠١]، وسكَتَ الرصاص وخَيَم سكون لم يكن يخْرِقُه إلا هدير النفاثات تُحلقُ وتَقْصف بين الحين والآخر.

وحفظًا للجميل وإقرارا لأهل الفضل بالفضل فنشير إلى أنه قد ابتدأت بحمد الله قوافلُ الإغاثة تَتْرى بغير انقطاع....

بل أعظَم من هذا أنه تَناهى إلى سمعنا أن دفْقَ السلاح والأموال هل كموجٍ، هادرٍ[١٠٢] وإن كنا – عِلم الله – لم يصِلْنا شيء البتّة لا سلاح ولا مال... ولم يكن يصلنا إلا الخيار والبندورة والبسكويت.......... إلخ

وماعدا هذا... فكان كعنْقَاء مغْرِبٍ[١٠٣] يسمع بها ولا تُرى... لقد كان منتهى القوافل إلى مقر الحزبِ الإسلامي وكذا الحضرة النبوية.... ثم يختفي كل شيء..

ولم نكن نستطيع في مثل هذا الظرف أن نَتَتَبع أو نستقصي أو نفتح على أنفسنا أبواب فتنةٍ، وكان عندنا ما يشْغَلُنا "والمشغولُ لا يشْغَل".

استَمر الكَر والفَر وتسارعتْ حمى الهروبِ الكبير من المدينة... وأوحشَتْ الطرقُ

وطُويتْ صفحةُ اليومِ واستُؤنِفَت الحياةُ صباح السبت **[٢٠\صفر\١٤٢٥ هـ - - ١٠\٤\٢٠٠٤ م]**.

---

[101]- هل المطر أي انهمر بشدة.

([102]) لقد سمعنا بعد انفراج الأزمة أخبارا عن الأموال الطائلة وصناديق الذهب التي جاد بها الكرام في هذا البلد، عدا الأموال التي جاد بها الكرام من خارج البلاد. "أبو أنس".

[103]- عنقاء مغْربٍ أي جائية من بعيد يعنون العقاب، ويقولون: طارت به عنقاء مغرب أي ذهبت به الداهية.

وصرح في هذا اليوم أحد قادة المارينز قائلاً ..-وصدق وهو كـذوب- أن المقاومة في الفلوجة أشرس من أيةِ مقاومةِ واجهها الجيش الأمريكي في فيتنـام بالرغم من استخدام القوات الأمريكية لِأعنف الأساليبِ العسكرية وأكثرها فتْكًا.. كما وصرح "باول" بأنه فُوجئ بضراوةِ المعارك..

هذا الانكسار العسكري حملَ الخبيثَ والحية الرقْطاء "مارك كيميـت" علـى التصريح مرغَما في مؤتمر صحفي بأن إدارةَ الاحتلال مستعدةٌ لتَنْفيذِ هدنَةٍ مـع العناصر المعادِية.

وجعلَتْ قافلةُ الوسطاءِ تَغْدو وتَروح بيننا وبين الأمريكان كالشاةِ العـائرة[١٠٤] بين قطيعين وكانت شروطنا كالآتي:

١- وقف الغارات

٢- وقف المداهمات وترك دخول المدينة

٣- الانسحاب الكامل

٤- التعويض

وأرسل الأمريكان يشترطون الآتي:

١- تسليم الأربعة الذين مثّلوا بالأمريكان

٢- تسليم المجاهدين العرب

٣- تسليم أسماء المنْشَقين من الشرطة

٤- التعهد بعدم إطلاق النار على الجيش.

ومن الغد (الأحد ٢١ صفر) (١١\٤).

---

[104]- العائرة هي التي لا يعرف لها مالك، أو المترددة بين قطيعين لا تدري أيها تتبع.

تم الاتفاق على وقفٍ لإطلاق النار لمدة ١٢ساعة وخرجت الحيـة الرقطـاء (كيميت) فزعم – كاذبا كعادته- أنهم قبضوا على خمسة مقـاتلين مـن مـصر والسودان وسوريا.

واعترفَت أمريكا بمقتَل جنديين على يدِ قنّاصٍ.

وفي نحو ١١ صباحا حصلَ اقتحام من ناحيةِ حي "الجغيفى" واستَعرت لَظَـى حربٍ زبونٍ[١٠٥] امتدتْ ست ساعاتٍ ونصفًا إلى نحو ٥,٥ فهدأ عند ذلك ضجيج الحرب وأَمسكَتْ طبولُها عن الدق وانسحب الكفار يحملون ٢٥ قتيلاً، وانجلـى عجاج المعركة عن تدمير ٤ مدرعات وحرق ٥ همرات.

وفى الحي العسكري دمرت مدرعةٌ وقُتل أربعة جنود.

وكان من الفَواقِر[١٠٦] التي وقَعنا فيها أننا وافَقْنا على هدنةٍ للتفاوض... وكانت خَدعةَ أريبٍ وقَعنا فيها بشكل غريب... وإلى ا المشتكى.

وفي يوم الاثنين [٢٢\صفر\١٤٢٥ هـ – الموافق ١٢\٤\٢٠٠٤ م]

َأسر الأمريكان إلى الوفد المفاوض بإسقاطِ جميع الشروط، ومن الطرائف أنهم قالوا لهم: بالنسبة للعرب فنحن نعرف أنهم انسحبوا!!

وبدا أن المشكلة هي فيمن سيتولى الأمر ويمسك بزمام الأمن في المدينة بعـد رحيل الأمريكان... وتشاورنا في هذا الأمر وبدا لنا أننا لم نتهيـأ بعـد لِحكْـمِ المدينةِ وأنه لا يعقَلُ مِن بعد أن تقيم دولةً في الفلوجةِ فقط، فـسكَتْنا وأغمـضنا العين على رجوع الجنود والشرطة، شَرطَ ألا يتعرضوا لمجاهد...

وبموازاة ذلك أعلن الربيعي غير الموفق استقالته من مجلس الحكـم ليعـين مستشارا للأمن القومي الأمريكي عفوا العراقي!!

---

[105]- حرب زبون أي تصدمهم وتدفعهم.

[106]- الفواقر جمع كلمة "الفاقرة" الداهية، يقال: فَقَرتْه الفاقرةُ؛ أي كسرتُ فَقَار ظهره.

وقد تَسامع الناس بأنه والجلبي وعلاوي كانوا يضغطون لجهةِ إنهاء المعركـة وحسم القضية بقنابل دمارٍ شامل تَمسح المدينة من الخارطة ليصار إلى مسحها بعد ذلك من الأذهان، وأنه المخْرج من هذه الورطة والحـل لهـذه المعـضلة المسماة بـ((الفلوجة)).

وفي ذات الوقت نَشَرتْ بعض وكالاتِ الأنباءِ خبر احتفال الجنود الأمريكـان بعِيدِ الفصح وأن إبليس قد أرسلَ لهم بقِسيسٍ يشاركُهم عيدهم ويرفع لهـم مـن معنوياتهم الهابطة...

وأنه قال لهم مثبتًا: لم نَعتَد بأن تكون المهمة سهلة... لكن أخبرنا الرب بأنـه معنا على طول الطريق.

وأضاف قائلاً- وكذب-: لسنا خائفين من الموت لأن السيد المسيح سـيعطينا حياةً أبديةً.

كان ذلك محاولة يائسة لرفع معنوياتٍ منهارةٍ لجنودٍ سكارى يحِبـون الـدنيا والحياة... فهل لهم من دواء؟

وقد أخبرنا الدكتور "رافع" أن الجنود احتَفَوا به وأقبلوا يستَثْبِتونه عـن خَبَـر الانسحاب وأن أساريرهم قد انفرجت وضحكاتِهم قد خَرقَت السماء فرحاً وغِبطَةً بهذا الخبر.

وقد طارت طُرفَةٌ في أنحاء البلاد تحكي هذه الحقيقة... وهـي "إذا أردت أن تُخِيفَ أمريكيا فقل له: الفلوجة".

وفي هذا اليوم أُفْرِج عن الرهائن الصينيين بإشراف هيئةِ العلماء!!!

وهنا لابد لنا من تسليط الضوء على هذا الحدثِ وأمثالِه... فلقد رأى النـاس كيف جد هؤلاءِ واجتَهدوا وبثوا عيونَهم وَأرهفوا آذانهم وكانوا يبحثـون بجِـد منقطِعِ النظير عن الأسرى من الكفار الذين وقَعوا بأيدي المجاهدين.

وَأشْهد أنهم جاهدوا في هذا جهادا صغيرا؟! ولم يأْلُوا جهدا[١٠٧] واستعملوا كل أساليب الإقناع وطرائق التوسل والرجاءِ مع كثيرٍ من الاستِخْذاء ليظْفَروا بهـذا الشرف العظيم أعني إطلاق الرهائن.

لقد كانت فرصة عظيمة للمجاهدين لو قتلوهم وقطعوا رؤوسـهم أن يحـدِثوا شرخًا في بناء التحالف وأن يشَردوا بهؤلاء من خَلْفَهم ليذُوقوا عاقبـةَ انقيـادهم للأحمق المطاع ...

لكن هؤلاء- العمائم -لا يحسنون إلا فقه الهزائم...!

نعم وا فقه الهزيمة هو الذي يحسِنونَه ويجيدون التنظير له، أما فقه العـزةِ والظفر، والاستعلاء فحرام عليهم كظهورِ أمهاتِهم.

ولعل الأمة لم تَنْس بعد إنقاذَهم لنحو ٢٠٠ روسي في الوقت الذي يفْتِك فيـه الروس بإخواننا الشيشان فتكًا ذريعا.

أما الرهائن اليابانيون فهذه.. وايم ا .. مذلة العصر فبدلَ الإنجـاد والإمـداد والإعداد للجهاد ونصرة إخوانهم المحاصرين... وبدلَ أن يركب هـؤلاء خيـلَ المنايا ويسرجوا جياد الفداء والاستشهاد ركِبـوا سـياراتِهم الفارهـةَ ومـضوا يسابقون الزمن ويتراكضون بسعي محمومٍ للوصـول إلـى هـؤلاء البـرآء –

---

[107]- لم يألُ جهداً أي لم يدع جهداً و لم يقصر.

(خَطِية)– لِيظْهروا أمام العالم أنهم حِملان وديعةٌ بلْ شياه منقـادةٌ لا تُحـسن إلا الثغاء[108].

لا أظن أن الأيام تمحو من ذاكرتي أو تنسخ من مخيلتي صورةَ مندوبٍ هيئـة العلماء وهو يعانق الأسرى اليابانيين بل يقيمهم من مجلسهم ليحظى بهذا العِناق الكريم –لقد كان تلك الليلة براق الثنايا وثغره قد افْتَر عن بسمةٍ تَحكِـي فَرحـا غامرا بهذا النصر الحاسِم في الوقْتِ الذي كانت طائراتُ العدو تَـصب حِمـم الموتِ الزؤام على رؤوس الأبرياء من أهل الإسلام.

قصةٌ مبكِيةٌ تَحكي مأساةَ هذه الأمة بعلمائها المزعومين

يا علماء الدين يا ملح البلاد

من يصلح الملح إذ الملح فسد

ولنردد مع الإمام عبد ا بن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبـار سوء ورهبانها

[الثلاثاء ٢٣/ صفر /١٤٢٥هـ- الموافق- ١٣ /٤/٢٠٠٤ م]

في هذا اليوم تجرأت دبابة فاقتحمت ناحية حي "نَـزال" وحـصلت زعزعـة وزلزلةٌ، وانتُدِب لها أبو أوس "صاحب القوس"[109] فرماها بصاروخ آر بي جي فلم ينْطِق، وانتحى جانبا وأَلْقَم قاذفَتَه الصاورخَ الثاني فخاب كأخيه.. ثم أكرمـه ا فبسمل ورمى فأصاب منها مقتلاً.. وتعالى في السماء دخانها، مرت لحظاتٌ قاسيةٌ وشديدة فقد بدا أن العدو قد اخترق تحصيناتِنا ودمر دفاعاتِنا ومضى حتى

108- الثغاء صوت الشاة والمعز ونحوهما.

109- الشيخ رحمه ا كان يحب المداعبة بهذا الشكل كثيراً.

وصل إلى العمق... وابتدأت سنةُ التمحيص، وداخَلَ القلوب رعب شديد، وخوفٌ هائل أقبلت بعد ذلك الطائراتُ المقاتلة فألقَتْ أحمالَ بطنها وصبت جام[110] غَضبِها، وكان هذا قُبيل الغروب وبدت تلك الليلة وكأنها مِرجلٌ يغْلي بأتون[111] الفتنة التي لاحت نُذُرها في الأفق.

ومع الصباح أَقبَلَ جمع المرجِفين وتَراكَضتْ خيولُ المخَذلين وعلى رأسِهم بعض عمائم الشر والسوء يبثون في الناس الوهن، ونَعقَ ناعِقُهم بأن المجاهدين قد بدؤوا في الانسحاب وتسليم السلاح وأن الأمريكان سيدخلون المدينة.

(هنَالِكَ ابتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وزُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً)(الأحزاب: ١١) وبدأت رحلة التصفية الحقيقية في أتون المعركة وساحة الفداء.. لا التصفية الصوفية الغنوصية والتي يدعو إليها ويالالأسف بعض السلفيين في هذا العصر.

وبدأت الوحشة تسري في القلوب فلقد خَوت طرقات المدينة وأَقْفَرت أَزقتُها.. وتلك السنة الإلهية في الابتلاء.. وذلك أنه وبسببٍ من البطولات والفداء التي سطرها المجاهدون -مهاجرين وأنصاراً- فقد التحق بالقافلة وركِب القطار الغث والسمين وغَصت الثغور بمن هب ودب وحمل الجميع السلاح.. فكان لابد من التمحيص والحصحصة[112].

كنتُ في هذا الوقتِ أشعر بالعِبء الرزاح[113] ينوء[114] به كاهلي وأنا أطوف على الثغور واعظاً ومذكراً، لقد كانت الوجوه شاحبةً والأرواح مكدودةً والقلوب مرهقَةً والجميع يتساءل أحقا سننسحب؟..، وهل سيدخُل الأمريكان؟...

110- الجام الإناء أو الكأس.

111- الأتون الموقِد.

112- الحصحصةُ: الحركةُ في شيء حتى يستَقِر فيه ويستَمكن منه ويثبت

113- رزح أي سقط من الإعياء هزالاً.

114- ناء بحمله أي نهض بجهد ومشقة.

ووجدتُني مدفوعاً من حيث لا أدري إلى أن أقوم فـيهم فـأقول: وا إنكـم لمنصورون.. ولن يدخل الأمريكان، ووا ... إننا سننتصر في غَزاتِنا هذه ولن نُهزم...

لم يكن هذا الموقفُ -عِلم ا - تَقَمصاً ومحاكاةً لموقفٍ سلَف في التاريخ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا ...

ولكنه كان شعوراً غريباً خامرني، ويقيناً ربانياً سكبه ا في أعماقي لا يحولِ مني ولا يطَولِ، لم يكن المقام مقام تَقَمصٍ ولا محاكاةٍ فلقد كان الموقفُ شـديد الخطورة والموتُ يرقُص لنا في كل منْعطَف.

لكنه كان شديد الإرهاق لي وذلك أن المقام لم يكن مقام وعظٍ مجردٍ، لقد كنت أسكب في الكلمات روحي وعزيمتي.... وهذا أمر مرهِق يعرفه من جربه.

وبينما أنا ذاتَ ليلةٍ أتَهيأُ لصلاةِ العشاء تَناهى إلى سمعي صوتُ إمام المـسجد المجاور يردد سورة الفيل ففتح ا علي خاطرةً قرآنية نعـيش ظلالهـا ونَـشُم عبيرها ونَتَنَسم أريجها... وبين يدي سردها.. لا بد لنا من مدخَل.

فنقول :

معلوم أن أمريكا يتناوب على حكمها ويتبادل أزمة القيـادة فيهـا حزبـان.. الجمهوري والديمقراطي. ومعلوم أيضا أن شعار الحـزب الـديمقراطي هـو الحمار؟! أو بِلُغَةِ القوم الـ donkey. وشعار الحزب الجمهوري هو الفيل!!

فحكام أمريكا إذًا هم أصحاب الفيل . . هنا دعونا نعود الى القرآن لنرتل (أَلَم تَر كَيفَ فَعلَ ربك بِأَصحابِ الْفيل (١) أَلَم يجعلْ كَيدهم فِي تَضلِيلٍ (٢) وأَرسلَ علَيهِم طَيراً أَبابِيلَ (٣) تَرمِيهِم بِحِجارةٍ من سِجيلٍ (٤)فَجعلَهم كَعصفٍ مـأْكُولٍ (٥)(الفيل ١:٥)

تُرى ما قصةُ أصحابِ الفيل؟! باختصار واعتصارٍ أراد أبرهةُ النـصراني أن يصرفَ وجوه العرب عن ميراث أبيهم إبراهيم وعن كعبتهم.. فبنى لهم "القُليس" وسألهما أن يصرفوا وجوههم إليها فأبوا وامتنعوا واستمسكوا بتراثهم وقِبلتهم..

لم يقف الأمر إلى هنا.. بل حملت النخْوةُ ودفَعت الغَيرة رجلاً منهم فتـسلل إلى "القليس" فقعد فيها –أي قضى فيها حاجته- استصغاراً لشأنها وسخرية مـن بانيها وهنا ثارت ثائرةُ "أبرهة" واتخذَ هذه الحادثةَ ذريعةً لإنفاذ ما يعتَمِـل فـي صدره ويخطط له سراً بمكر وخُلب[115].

فجهز جيشاً لَجِباً طَعمه بدبابات جرارة "الفيلة" وأقبل يزحفُ بزهوٍ و خـيلاء وهو يحدثُ نفسه بنصرٍ سهلٍ ليسطر اسمه في سجل الخالدين وكأنني أنظر إليـه متبختراً وللأرض منه وئِيد ينْظُر باحتقارٍ وازدراءٍ إلى فِئامِ المقـاومين الـذين تساقطوا سريعا أمام يديه وبين عينيه.. حتى إذا دنا من غايته وأوشَـك علـى تحقيق أمانيه حقتْ عليه سنة ا تبارك وتعالى: (...حتـى إِذَا أَخَـذَتِ الأرض زخْرفَها وازينَتْ وظَن أَهلُها أَنهم قَادِرون علَيهآ أَتَاهـا أَمرنَـا لَـيلاً أَو نَهـاراً فَجعلْنَاها حصِيداً كَأَن لم تَغْن بِالأَمسِ كَذَلِك نُفَصلُ الآياتِ لِقَومٍ يتَفَكرون (٢٤))(يونس:٢٤).

وهكذا صنيع ا بالمتكبرين مكراً بهم وسخريةً منهم فأخـذه ا فلـم يفْلِتْـه (وكَذَلِك أَخْذُ ربك إِذَا أَخَذَ الْقُرى وهِي ظَالِمةٌ إِن أَخْذَه أَلِيم شَدِيد) (هـود:١٠٢) تُرى كيف كانت النهاية؟ (وأَرسلَ علَيهم طَيراً أَبابِيلَ) وهذه سنة ربانية أخرى..

وخلاصتها أن الإنسان كلما طغى وبغى وعلا واستكبر واختال وتجبر سـقاه ا الذل أكؤساً ثم تكون خاتِمتُه وبيلةً وعبرة للعالمين.

---

[115]- الـخُـلب : السحاب يومِض برقُه حتـى يرجى مطَره ثم يخْـلِفُ ويتَقَشع، وكأنه من الـخِلابة وهي الـخِداع بالقَول اللطِيف.

لقد جاء "أبرهة" بأفيالٍ لم تشهد العرب مثلها من قبل فأرسل ا عليه طيراً أبابيلَ بحجارةٍ في مناقرها ومخالبها من سجيل.. وكانت النهاية (فَجعلَهم كَعصفٍ مأْكُولٍ).

ومن قبلُ قال النمرود: (أَنَا أُحيِي وأُمِيتُ) فأمر ا برغوثةً تسللت إلى دماغه فكان يئن ويشتكي ثم لا يهدأ حتى يضرب بالنعال.. ومات وهو على هذا الحال.

وهذا فرعون قال: (وهذه الأنهار تَجري من تحتي) فَأجراها ا من فوقه، سنةٌ لا تتغير وناموس لا يتبدل.

والآن أين هذا مما نحن فيه؟

ها هي أمريكا بقيادة أصحاب الفيل – الحزب الجمهوري – جهدتْ أن تحرف الأمة عن دينها وأن تَصرف وجهها عن قِبلَتها وميراثِ نبيها.. فلم تُفلح..

وهنا يسر ا ُ إخواناً لنا سلم ا أيديهم وتَقَبلَ ا ُ شهداءهم سلَحوا[116] على حضارتها وقَعدوا على صرحها وبنيانها..

فاتخذ "أبرهة" العصر هذه الحادثة ذريعةً لإنفاذ المخططِ المرسومِ سراً فَأقْبلَ يزحفُ بجيشٍ لم تَسمع البشريةُ بمثله يريد دين المسلمين وكعبتَهم وهو يرغِي ويهدد بالانتقام.. وتهاوت أمامه فئام المقاومين وتَمزقَت كتائب الدفاع واخْتُرقَت الحصون وسلِمت الديار وزأر أبرهة مبتهجاً بالفتح وعيونه على الكعبة وهو يفْرك يديه ينتظر اليوم الموعود... وهنا حقتْ عليه سنةُ ا ... وبدأت طير الأبابيل تَرميهم بحجارةٍ من سِجيلٍ... ولم يبقَ إلا المشهد الأخير فجعلَهم كعصفٍ مأْكول.

116- سلَح عليه أي تغوط، والمراد هنا أنهم أهانوها.

لقد كان من عظيم نعمة ا علينا وخالِص منه وإحسانه إلينا أن اختارنا هنـا في الفلوجة الباسلة ليكْتُب بنا وبدمائنا فصلَ الكرامة والعزة والنصر.

فنحن – بإذن ا - الطير الأبابيل المدججة بحجارة السجيل أمام أَفْيال أبرهة وجيشِه اللجِب.

ألم يقل "جون أبو زيد" في أول أيام الحصار: (نحن أعتى قوة فـي التـاريخ وسننتصر)، وقد صدق في أول الكلام وأَكْذَبه ا في آخره، وسنظل بـإذن ا هنا نصاول ونُطاول حتى يسدلُ الستار على الفصل الأخير (فَجعلَهـم كعـصفٍ مأْكُولٍ).

بدا واضحاً أننا نحتاج إلى العديد من صناديد العلم والدعوة، وبـدا واضـحاً أيضاً أن الساحةَ فارغةٌ وأن الميدان خالي الوفـــــــاضِ وأن التقـصير شديد جداً..... وإلى ا المشتكى.

التربية التربية.. شعار حالِم وجميلٌ يتَدرع به كثير مِن الدعاة كلما دعوا إلـى القيام بالواجب الجهادي ودفع الصائل على أمـة الإسلام.. .. ولنا هنا وقْفَات:

أولاً: المتأملُ لسيرةِ النبي (صلى ا عليه وسلم) وحركَتِه بدين ا في الحياة يجِد أن النبي قد ربى الصحابةَ تحتَ ظلال السيوفِ فكانت غزواتـه رحـلاتٍ تعليميةً وسياحاتٍ تربويةً ودوراتٍ تأهيليةً عمليةً يتَلَقى فيهـا المجاهـد التعلـيم الشرعي والتهذيب الروحي والتطبيقَ العملي للمعاني الشرعية من توكلٍ وإيثـارٍ وصبرٍ.. إلخ بالإضافة إلى التصويب والتقويم للأخطاء والانحرافات التي تَنْـشَأ في أثناءِ المسير، وهنا يظْهر سر من أسرار الفَرق الشاسع بين جيل الـصحابة ومن بعدهم، فأولئك الأفذاذ تَلَقوا الإسلام حياةً عمليةً وواقعاً حياً ومفاهيم حركيةً، بينما تَلَقى من بعدهم العلم والتربية نظرياتٍ تُحفَـظُ ودروسـاً تُتَلَقـى ومتونـاً تُشْرح....

ثانياً: وفوقَ هذا فالمتأملُ في سيرة النبي (صلى ا عليه وسلم) يجد أن هذه الشعيرة ''أعني الجهاد..'' استَحوذَتْ على القِسطِ الأكبرِ من حياتِه ودعوتِـه.. فبعد سبعةِ أشهرٍ من الهجرة بدأت سلسلةُ السرايا والغزواتِ لتَصبغَ وجه حياتِـه كلها بعد ذلك حتى سنَّتَه القوليةَ كان للجهاد منها نصيب الأسد كما قـال شـيخ الإسلام: "وأكثر الآيات والأحاديث في الصلاة والجهاد".

ثالثاً: هناك مفارقةٌ غريبة عند أهل هذه النظْرة أشار إليها الشيخ الفاضل أبـو قتادة الفلسطيني وخلاصتها أن التربية الشرعية هي في التطبيق العلمي للفريضة لتُثمر -إذا أُتِي بها على الوجهِ الصحيح- آثارها النفسيةُ والإيمانية في قلبٍ من يباشِرها فالصوم للتقْوى والصلاةُ أداةُ تطهير وتزكية وهلم جراً. وهكذا فالجهاد تربيةٌ عمليةٌ على الجهاد والتضحية.

رابعاً: نَعم لا بد من التربية والتعليم والمجاهد لمباشَرتِه أمر الدماء يحتاج إلى مزيدٍ من الضبطِ الشرعي والتهذيبِ النفسي ولذلك فالواجب أن يقْدِم إلى سـاح الجهاد الخُلص من العلماءِ والنوابغ من الفقهـاءِ ليباشِـروا التعلـيم والتوجيـه والتصويب وليمارسوا بأنفسهم تنزيلَ الأحكام على النوازل التـي يـداك بهـا المجاهدون.

إن المجاهد في ميدان المعركة أكثر الناس تَهيؤاً وَأعظَمهم اسـتعداداً للتلقـي الشرعي والالتزامِ الفِقْهي والعروج إلى مقامات الكمال الإيماني إذا وجد العـالم الرباني الذي يأخذ بيده..

وهو أولى بالجهدِ الدعوي، ووقتِ العالِم من ذلك المخْلِد إلى الأرض المتكـئ على أريكته، النائم في حِضن زوجته..

لقد كنت أحاول - على تقصير- أن أطوفَ بالمرابِطين على الثغـور فـي الفلوجة مذَكراً لهم وناصحاً لهم، وكنتُ أجِد نفوساً ظامئةً وقلوبا عطْـشَى إلـى

الهدى والعلم وأرواحا تتفاقز طلبا للكمال، وحين يعظُم البأس ويشْتَد ليلُ المِحـن كنتُ أجد نفوسا قلقةً تَتَلَهف إلى موعظةٍ تُسكّب فيها طُمْأنينةٌ وتَتَلَفتُ تبحث عـن تذكرةٍ تَرد بعض الأمل والثقة بالنصر..

وربما ألَح علي بعضهم ألاّ أُفارِقَهم فَأتَعال – صادقاً – بأن هناك غيرهم ممن يحتاج إلى مثل ما يحتاجونه.

وكنتُ أتساءل في نفسي فأقول: أين طلاب العلم وحملة الدعوة ودعاة التربية؟ أليس لهؤلاء المجاهدين حق في رقابهم ونصيب في عملهم وهم يذودون عـنهم وعن أمتهم.

وأقولُ جازما: إنه لو كان في هذه المِحنَة عدد من النِطَاسِيين[117] في التربيـة وطلبة العلم الربانيين لتَغَير وجه مدينةِ الفلوجة ولكانتْ هذه المِحنَـةُ خطـواتٍ واسعةً نحو التمكين.

خامساً: من المفارقات الغريبةِ أن أكثر من ينْفِر إلى الجهاد هم أصحاب الفِطَر السويةِ والقلوبِ السليمةِ وربما حديثو التوبة ممن لم يـسبِق لهـم أن خـضعوا للتشكيل الفكري والتربوي في محاضِن الجماعات الإسلامية، ولذا فـإن كثيـرا منهم تَغْلِب عليه الأمية الشرعية حتى أن أكثرهم لا يحسِن أَلِفَ بـاءِ التجويـدِ والتلاوة. وهذا يضع يدك على خللٍ عظيمٍ في مناهج التربية المزعومة.

ففي الوقت الذي يتغنى كثير من هؤلاء بقصص البطولاتِ في سوح الجهـاد ويتبنون نصرةَ هذه الميادين نظريا فإنك لا تجد أحدا منهم يجشم نفـسه عنـاء الذهابِ للمشاركةِ الفَعالة الحقيقية.

فيا تُرى ماذا تَعلّم هؤلاء وعلى ماذا تربوا؟

117- النطاسي بكسر وفتح النون هو العالم.

لعلي لا أبالغ عندما أقول: إن كثيراً من هؤلاء إنما تَعلموا الجدلَ والتنظير المجرد واقتحام المعاركِ الكلاميةِ وربما بدا لأحدهم أنه صار ثمينًا مع تعلمه لبعض فنون القول وزخرفة الحديث بحيث لا يليق به أن يموت كسائر الجند المساكين!

أليس مخجلاً حقاً أن يكون جهاد كثير من الدعاة حصاداً سهلاً لدماء المجاهدين الصادقين وأن يبتَنِي هؤلاءِ صروح المجد الكاذب على جماجمِ أولئك الخُلصِ الساذَجين.

ولكن عزاؤنا أنه عند ا تَنْكشف السرائر...

ويذَكرني هذا بطُرفة تقال عندنا وخلاصتُها أن شَركَسِيا اشترى أُضحية للعيد ودفعها لسلْطِي[118] ليذبحها فأضجعها، وقال: بسم ا ، اللهم عني وعن أهل بيتي، فقال له الشركسي: "بابا اذبح.... ا بيعرف مين دفع الفلوس".

وا من وراء المقصد.

* استشهد في هذه الأيام جمال أبو البراء الأنصاري من الخالدية، كان يتَحرق للشهادة ولَما سمِع بأمر الهدنة وظن أن الحرب ستضع أوزارها ابتأس وبدا عليه حزن عميق وهو يقول:

ها قد ضاعت مني فُرصةُ الشهادة، مشى يوماً فأبصر على الأرض ظروفَ طلَقاتٍ فارغةٍ فالتقط بأنامله ظرفاً وقال: وهو يتأمله حسيرا كسيرا طلقة أو اثنتان ثم الشهادة "صدق مع ا فصدقه ا "، كان واقفًا بعد ذلك مع نحو أربعةٍ من الإخوة ناحيةَ القائمقامية وفجأةً تعمده قنّاص برصاصة في جبهته فخر

118- هكذا الطرفة وأنا برئ من عهدتها. "أبو أنس". والسلط مدينة في الأردن.

صريعا لليدين و للْفَم.. وانطبعت على محياه ابتسامةٌ رقراقـةٌ تَحكـي فَرحتَـه بتحصيل أُمنيته.. فرحمه ا

كانت الساحة تَمور بالجواسيس والسَّقَطَة الذين باعوا ديـنهم وأمـتهم مقابـل لُعاعةٍ من مال، وقد أثر هؤلاء في بعض المواقِفِ وَأَنْكَوا فينا نِكاية شديدة؛ مـن ذلك أن أحدهم ألقى قرصاً في كراج أبي سرمد فقُصفوا، واستَشْهد عدد مـنهم، وأصيب آخرون واحترقت حاوية سلاحٍ كنا نَدخِرها للمِلمات، وانسحب الإخوة، وخلا ثغر الجبيل من حراسة، ولبثنا نحو ثلاثة أيام لا نجـد أحـدا يـسد هـذه الثغْرة... حتى يسر ا ُ بعد ذلك الأمر ولَملَمنا بعض الإخوة من هنـا وهنـاك فرابطوا على أن يشاغلوا العدو إذا دهمهم لحين حضور المدد والعون من سائر الثغور والنقاط في المدينة.

نعم - أيها المسلم - ثلاثة أيام وهذه النقطةُ فارغةٌ ليس فيها أحد، ولو دخـل منها العدو لاقتحم إلى قلب المدينة من غير قتال أو مقاومة.

لقد كنا ننام تلك الليالي بقلوبٍ وجِلَةٍ وأفئدة قلقة، لا نملك إلا الدعاء والتضرع لرب الأرض والسماء أن يأخذ بعيون الكفار عن هذه النقطة.

ومثل هذا أن العدد نقص جداً في الجولان، وكان الإخوة يرابطون في الوسط من منطقةٍ ممتدةٍ، ولنَقْصِ العددِ لم نكن نستطيع أن نُغَطي كل المداخل.

وشاء ا أنهم قرروا الاقتحام وتَهيؤوا للدخول والتسلل مع بواكير النهار..... أتدري ماذا حصل أيها المسلم الكـ ـ ـ ـ ـ ـريم؟

لقد ساقهم ا بحكمته واستدرجهم بمكره إلى النقطة التي يرابط فيها الإخوة... ولو تسللوا من الجناحين لالتفوا حول الإخوة وبطشوا بهم.

سمع جِسهم أبو عمار السوري فغمز البي كي سي فزغردت وأصاب عـددا منهم وتصايح الإخوة وقاموا من نومهم مبادرين ودارت رحى حربٍ ضـروسٍ وقذفت الدبابة بحممِها فهدمت بعض البيوتِ وصيرتْها أنقاضاً، وكـان الوحيـد الذي أُصيب الفتى عمار السوري أصغر المجاهدين في هذه المعركة.. في نحو الثانية عشر من عمره "ومن شابه أبه فما ظلَم".

استمرت المعركة إلى ما بعد العصر وكان الإرهاقُ أخَذَ من الإخوة كل مأخَذٍ بحيث إنه لو طالت المعركة ساعة أخرى لأخذهم العدو مسك اليـد... لكـن ا ألقى الرعب في قلوبهم فانسحبوا خائبين وأقبلَت في إثْرهم المقاتلاتُ تَقْصِفُ بكل أنواع القنابل المحرمة دوليا ..؟!!!!

أصغَينا تلك الليلةَ إلى الأخبار فزعم الأمريكان أنهم صدوا هجوماً للإرهابيين وكبدوهم نحو ٣٨ قتيلاً... ولم نَدرِ أنضحك من هذا الهراء أم نبكـي لأننـا لا نستطيع أن نُفْرح أمتَنا بالحقيقة التي عِشْناها؟

لم يقْتَل أحد في هذا اليوم حاشا أحد الإخوةِ برصاصِ قنّـاصٍ فـي الحـي العسكري -إذا لم أكن واهماً- ولعل الأمريكان عدوا قتلاهم ثم انقلـب علـيهم الأمر فخالوهم منا!!!

كلما تذكرت تلك الليالي وهاتيك الأيام تتراءى لي حقيقةٌ تتراقص أمام عينـي وتأخذ بمجامع قلبي، أشْعر من الأعماق وبيقينٍ راسخٍ أن ا قـد أذِن بـانقلابِ الحال وذهابِ عصر الذل وانكسار موجةِ الكفر وأن الأمةَ نَهضتْ مِن كبوتِهـا وستَظَل تَرتَقي صعداً حتى تَستَحوذَ على أردِية المجد وأُزره فتَكْتَسِي من جديـد لِباس العز والفخار.

أشعر أن ا يصنع هنا في هذه الساحة لهذه الأمة مجداً جديداً بيديه لا بحولٍ منا ولا بطَول، بل هو محض الفضل الإلهي.

إن لكل أمة إقبالاً وإدباراً وارتقاء وتَسفلاً، والأيام دولٌ وأمةُ الإسلامِ بلَغَتْ في العقود الماضيةِ القاع وها قد بدأت بالإقلاع من جديد.

.. ولن تَنِي أو تهون حتى تَفتح روما ويمد الإسـلام رواقـه علـى الـدنيا، ويضرب بِجِرانِه في الخافقين مرة أخرى.

لقد ابتدأت الملاحم هنا في العراق وستَمتَد حتى تَنْتَهي بالشام كما أخبر سـيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

إن الهلال إذا رأيـتَ بدوه * أَيقَنْتَ أن سيكون بدراً كاملاً

ودرس آخر تلقيناه في معركة الأحزاب هذه..

درس عملي يكشف لنا عن حقيقة التوكل وفاعليـة هـذه العقيـدة.. وأنهـا الديناميكية التي تضبط حركة المؤمن بدين ا في الحياة، والحادي الذي يحـدو المطايا حتى تلتحق بالركْبِ فلا تَتَخَلّف عن المسير، إن الدار دار سننٍ لا يجوز تعطيلُها "فَأَتْبع سببا"، ولكن الواجب على المؤمن أن يعِد ما اسـتطاع وألا يـأْلُو جهداً[119] .. فإذا عزم وهزم شيطان التردد فليتوكل على ا .

لقد أمر ا قديماً مريم رضي ا عنها أن تَهز النخلة فتُساقِطَ عليهـا رطبـاً جنِياً وما تصنع هزة ذراعٍ من امرأة ضعيفةٍ نُفَساء تتحاملُ على نفـسها لتَقِـفَ على قدميها؟

لكنها السنن!

119- لم يألُ جهداً أي لم يدع جهداً و لم يقصر.

تَذَكر أيها المؤمن أن ا كان يقَلب فِتْيَةَ الكهفِ يميناً و شمالاً حتى لا تأكـلَ الأرض جنوبهم... وقد كان يمكن أن يأمر الأرض فتَمتَنع........ لكنها السنن.

وقد قال أئمتنا: إن تعطيل الأسباب زندقة، والاعتماد عليها شِرك.

ومحو الأسبابِ أن تكون أسباباً نقص في العقل[١٢٠]، لكن محل الوهم في هـذا الباب عند بعض المعاصرين والمفكرين أنهم يحسبون أن الإعداد الذي يبيح لك مباشرة القتال أو يتيح فرصة الفوز هو الإعداد المادي المكافئ لعـدوك، وهـذا وهم وخيالات تكذبها شهادة التاريخ على مر الأعصر وكر الدهور، وإذا تَصفح اللبيب التاريخَ ووقَفَ عند القِمم الشوامخِ والانتصاراتِ الباهرةِ لأهل الحق فـي المعارك الفاصلة.. وجد باطّرادٍ أن الكِفةَ المادية كانت دائماً راجحةً لصالح أهل الكفر من لدن داود وطالوتَ إلى بدرٍ والقادسية واليرموك.. وقبل ذلك وبعدها.

ولم نذهب بعيداً فلقد عشنا هذه الحقيقة بقلوبنا وأجسادنا.

أتدري أخي المسلم.. أن الذين ثَبتوا مرابطين على الثغور حتى انكشاف الغمة وانكسار الموجة لا يتجاوزن المائتين وخمـسين .. فقـط!! .. نَعـم وا .... بهؤلاء القِلةِ كَتَب ا فصلاً من فصول العزة.... وجعلهم للأمة مـثلاً وللحـق مضرباً وللعالَم أُحدوثَةً، وَأعجب من هذا أن العتاد قد تَناقص والذخيرةَ قد شَحتْ وشُدد الخِناق، وضاق بنا الفَضاء في آخر الأيام بحيث صِرنا نَجمـع للإخـوة طلقات بنادق الكلاشينكوف تسولاً من الثغور؛ طلقةً من هنا وأخرى من هنـاك، ولعله لو قامت معركة تستمر ربع أو نصفَ ساعة لَما بقِي معنا شيء نَرمِي به العدو... لكنه الفَضلُ الإلهي.. ومع هذا الضيق كنا نشعر حقيقةً أن ا مولانـا

[120]- من يهمل السبب مع علمه أن ا جعله سبباً فهذا نقص في العقل، وكثيراً ما ترى أناساً انحرفوا فتركوا الأسباب أو بعضها ظناً أن هذا من الدين، فمن هنا أُتي.... من قلة علمه مثلاً.

ولا مولى لهم... وأدركْنا معنى حديث الصادق المصدوق "نُـصِرتُ بالرعـبِ مسيرةَ شَهرٍ".

ومن المواقف المعجِبة في هذه الحرب أنهم كانوا ينادوننا قـائلين استـسلموا لقوات المارينز التي لا تُقْهر... كنوع من الحرب النفسية ولم نَلْبث إلا أياماً حتى رأينا مدرعات العدو وجنده يرفعون الراياتِ البيضاء ... إي وا وذلك بفـضل ا .

ولا أَنْسى تلك الحادثة العجيبة التي تحكي الخوف والرعب الذي داهم قلـوبهم واقتحم أفئدتهم .

حين أقبل ركْب من خمسة جنود من "المارينز" يتقدمهم واحد منهم يحمل راية بيضاء من نحو الحي العسكري ولما رآهم صاحب النوبة لم يـدرِ مـا يـصنع فأصلاهم من فوره حمم البي كي سي فجنْدل مقَدمهم حاملَ الرايةِ وولوا الأدبار. .. ولعله لو لم يفعل لكان للتاريخ حديثٌ آخر.

وأَطْرفُ من هذا أن مناديهم نادى من ناحية السوق - الجسر القديم - قبـل انكشاف الغمة بيومين .. يقول: .. هيا اخرجوا أيها الجبناء لتقاتلوا نساء قـوات المارينز...

فرماهم عماد بالهاون فوقع وسطهم فَأَقْصدهم... وما هـي إلا لحظـات وإذا بصائِحهم ينادي ويقول: الرجاء التزام الهدنة، الرجاء التزام الهدنة...... وقلنـا سبحان ا ....

ولا أنسى هنا أن أشيد بالبطل "عماد" قائِدِ كتيبةِ الهاون هو ومجموعتـه فقـد كانوا السلاح المنْكِي واليد الباطشةَ التي رجح ا بها كِفةَ المجاهدين فجزاهم ا عن الإسلام والمسلمين خيراً.....

عبد الحق البغدادي وما أدراك ما عبد الحق؟ قناص وأي قناصٍ.. لقينى هـذه الليلة فبادرني مبشراً بأنه ترك التدخين وتاب منه.. فالحمد على توفيقه رابط في حي الشهداء مع مجموعة أبي عبد ا التونسي فصدوا وردوا عـدداً مـن غارات العدو وكسروا عدة موجات بحول ا وقوته.

تتابعت الأحداث على هذا المنوال، ورأينا من غَدرِ الأمريكان ونَكْثِهم بالعهود ما لا يوصف والشيء من معدِنه لا يستَغْرب.

وأْذَن لي هنا أيها القارئ الكريم... أن أحدثك عـن الجنـدي الأمريكـي وأن أصفه لك وصفاً يقَرب الحقيقة ويجلي الواقع.. فأقول:

الجندي الأمريكي دمية لوحش مخيف، مملوءةٌ هواء يوشك أن تطيش بوخزةِ إبرة و لها "وووش"، وهكذا الجندي الأمريكي ما أسرع أن ينقلب على عقبيـه ويولي الأدبار، وله ضراط عند أول مقاومة يجِدها... وأشد من هذا أنهم يبدؤون سراعاً بالعواء كالجِراء عند أول صلْيةِ نار...

هذه هي حقيقة الجندي الأمريكي عارية عن الرتُوشِ الزائفـة التـي تُخْفِـي وراءها هزالاً وخُواراً قَل في التاريخ نظيرها.

مشكلتنا دائماً مع هؤلاء هي الطيران سلاحهم القَتّال، وفـي ظـل غيـاب دفاعات أو مضادات للطيران فإن الكفة تظل مائلة راجحة في حقهم..... وإلـى ا المشتكى.

لقد كنا ننام ونستيقظ على أزيز الطائرات وهـدير القاذفـات وأصـواتِ القصف حتى صارت لنا كأهازيج النوم التي تُهدهِد الأم بها ولدها الصغير حتى ينام.

مرت الليالي قاسيةً بطيئةً، الكواكب كان ظلامها دامساً و ليلُهـا طامِـساً.. لا حظ فيها للضياء إلا أنوار الإيمان تضيء للمؤمن الدرب متفاوتةً قـوةً وضـعفاً بين شخص وآخر.

وكان أمر الهدنَةِ ضبابِياً.... فقد كنا نشاهد غير ما ينْقَل، ونُقاسِي غيـر مـا يشـاع ويذاع.. وكان الإرهاقُ قد بلَغَ من النفوس أعماقَها وبـدأ يفْتِـك بطاقـةِ الصبر والمصابرةِ، لكنا كُنّا نَشْعر أن عدونا يعاني ما نُعاني أو أشـد ويتَمثـلُ أحدنا قولَ الحق تعالى: "إن تَكونوا تألمون فإنـهم يألمون كما تألمون وتَرجـون من ا ما لا يرجون"

آية كانت تنزل على الجرح فيبرأ وتُشِع أنوارها على القلب المكْدودِ فينْـشَط.. وهذه أعجوبةُ القرآن الكُبرى..

فحين ينقاد المؤمن بالقرآن ويتَمثله واقعاً حركياً ثم يتواصل معه تلاوةً يـشْعر وكأن القرآن يتنزل عليه غَضاً طَرياً يلامس أحاسيسه فيوجههـا، ويـشرح لـه الأفعال وردودها فيجليها، يحدثه عن خَلَجات النفـوس، وزمزمـات القلـوب، ومواقفِ الطوائف، وأطيافِ البِشْر يحكي له ماذا سيفعل الناس من عدو وصديق ويوجهه إلى المواقف التي ينبغي أن يسطرها، والقَراراتِ التي يتخِذُها، يعـيش معه فيفْتَح عينَه على الحقائق وينَور بصيرتَه حتى لا تَتَجاذَبه السبل وتَنْحرفَ به الدروب.

هذه الحقيقة يخْفِقُ بها القلب وتَستَلِذ بها النفس حين تَهب عليها نسائم الإيمـان والصفاءِ من كُوة السماءِ إذا تَوجه إليها المؤمن في رمضاءِ المحنةِ ولَهيبِ الفتنةِ وهو يطْلُب العون وينْشُد التثبيتَ من الرب الكريم - سبحانه - .

لقيتُ هذا اليوم أبا حفصٍ المقدسي بعد طول غياب لأنه يمرض بعيداً عنا في مكان آمن.. وبعد العناق الحار تذاكرنا أيام المعركة وحديث الجهاد فأفضى إلي ببعض الرؤى التي رآها بعض إخواننا؛ ومن ذلك رؤيا رآها عبد الرحمن مـن الجزيرة العربية رأى فيها عموداً من نور نزل من السماء إلى الفلوجة فأضـاء ليلَها ثم انتشر عرضاً فى طول البلاد وعرضها....

وهى رؤيا حق " إن شاء ا ".

[يوم الأحد ٥ \ربيع الأول \١٤٢٥هـ - الموافق ٢٥\٤\٢٠٠٤ م]

مع إشراقة هذا اليوم بدأت العوائل المهجرة التي ضاق بها الفضاء ولم تسعها الأرض بما رحبت بالعودة إلى المدينة.

وكان أمر الهدنة مازال ضبابياً... وإن بدا واضحاً للعِيان أن إرادة القتال قـد أفلست عند الأمريكان وأنهم يبحثون عن كُوةٍ في جدار الذل الذي أحاطت بهـم أسواره ليخْرجوا منها ببعض ماء الوجه...

وكنا نحن نشعر بهذا ولذلك وافقنا على دخول عدد محـدود مـن العربـات الأمريكية في الطريق الرئيس الواصل إلى القائمقامية وفي مسار محدود ولأجلٍ محدود وميقاتٍ مضروب... كنوعٍ من رد الاعتبار...

وفوجئنا ليلة التنفيذ بالحية الرقطاء (كيميت) [ثبت عندنا بالبينات والبراهين بعد ذلك أن هذا الرجل يهودي.. وأما حقده على الإسلام وأهلـه فتقـرؤه فـي عينيه]

صرح كيميت بأن القوات الأمريكية لن تدخل المدينة مخافة أن يغدر المقاتلون ويأخذوا الأمريكان رهائن ويتخذوهم دروعاً بشرية ؟!!!!

كل هذه الأحداث والقصف الجوي مستمر لا ينقطع...

ومن المضحكات أن الجنود الأمريكان كانوا يتعمدون فتح الموسيقى الصاخبة طوال الليل وبأعلى صوت عبر سماعات ضخمة وما درينا أهـو غَـيظٌ مـنهم للقرآن الذي كانت تبثه منابر المساجد أم هو أفيون تخدير ينقلهم من المأساة التي يعيشونها إلي عالم الطرب وسكر النفوس هرباً من الحقيقة شديدة الوطأة.

[الاثنين ٦ \ربيع الأول\ ١٤٢٥هـ -الموافق ٢٦\٤\٢٠٠٤ م]

تقدم عدد من الإخوة تسللاً إلى أطراف الجولان بقيادة أبي ناصر الليبي ومنهم جند ا الكردي وأبو الحارث البغدادي ومجيد الفلوجي وأبو الوليد الكويتي وأبو الزبير النجدي وأبو علي الفلوجي وأبو مسلم اليمني وأبو معاذ الفلوجي وعبـد الهادي اليمني وعمر وعبد المجيد من الفلوجة كان الإخوة في أطراف الجولان بإمرة أبي عمار السوري قد اجتمعوا وتحادثوا فـي أمـر بيـتٍ عـسكر فيـه الأمريكان، واتفق الجميع على خطة اقتحام.. وتقدم المذكورون مـن جهتـين، وحين دنَت المجموعة الأولى من البيت الملاصق للهدف.. سقطت علبة دخـان فارغة ألقاها أحد الجنود الأمريكان على رأس أحد الإخوة فتبين لهم أن العـدو متمركز في بيتين لا بيت كما توهموا، وانقسموا مجموعتين، واقتحم الأسود:

عبس الليل فابتسم * وطغى الليل فاقتحم

تقدم الأبطال وعلى رأسهم جند ا وعبد الهادي اليمني وباسـتعمال القناديـل اليدوية تم التمشيط بالبي كي سي والكلاشينات فأخمدوا لهم كل مقاومة، ورقِـي الإخوة السطح واستهدفوا البيت الآخر فأخرسوا مقاومته ورأى أبو المهاجر وقد أشرف على المقبرة القريبة جموعاً من جنود المشاة فصاح: العلوج! وغمز البي

كي سي فجنْدل منهم عدداً... وابتدأ قصفٌ رهيب شاركتْ فيه مدرعـةٌ كانـت بالقربِ من الموقع وانضم إليها جموع من الأمريكان كانوا فوقَ ظهر بيتٍ فـي نهاية الجولان وهم الذين ظهرت صورهم على شاشات التلفاز.

وانسحب الإخوة سريعا وأُصيب في الانسحاب جند ا ِ بطلقـةٍ فـي بطنـه فاضت معها روحه الطاهرة إلى ا كما وأصـيب أبـو الحـارث البغـدادي برصاصة في رأسه نُقِلَ بعدها إلى بغداد لتغادر الروح الجسد إلى ا تعالى.

وعبر جدران وأسوار المنازل انسحب الإخوة يحملون جثامين إخوتهم من سور إلى سور حتى أَفْضوا إلى مكان آمن....

وتتابع القصف الأمريكي على الموقع فدمروه وأجهزوا على من عساه يكون حيا من جنودهم.

كنا نتربص هاتيك الأيام وننتظر ضربة البصرة البحرية.. وذلك أننا كنـا نؤمل أن تكون ضربة قاصمة تزلزهم وتَهد بنيانهم فيضطرون إلى فك الحصار وتخفيف الضغط علينا..

وكلما رسِمت في شاشات التلفاز إشارة خبر عاجل تحفزت النفوس واشرأبت الأعناق..

حتى أذن ا بالفرج فكانت أولاً ضربات مراكز الشرط في البصرة وكانت ضرباتٍ موجعةً منكية - بحمد ا - وتَبِعتْها بحمد ا - قاصمةُ الظهر لهم (أعني غزوة يوسف العبيري -رحمه ا - البحرية).

صحيح أن العملية لم تكن تماماً كما قُدر لها ، وذلك أن دوريةً من أربعـة عشر جندياً بريطانياً اشتبهت في أحد القوارب فأوقفوه وانتقلوا إلى قاربه للتفتيش فما كان منه إلا أن فجر فانتقل وإياهم إلى الدار الآخرة... وليسوا سواء إن شاء ا ، فتوتر الجو وانكشف الأمر قبل أن تبلغ بقية القوارب منتهاها... ومع ذلـك

فقد كانت ضربةً موجِعةً وحسبك أنهم لم يظهروا صورة للميناء ولميدان العملية، كما وانقطع ضخ النفط شهوراً متطاولة.. وكان ينبغي أن تُفَجر ناقلتان كبيرتان وثلاث مدمرات حربية للقوات الأسترالية، كانت الضربة موجعة، ومـع ذلـك فنحن نُقِر أننا لا ندري حجم الخسائر ذلك أن الموقع كان على بعدِ خمسِ ساعاتٍ من الشاطئ، لذا فقد كان تصوير الأحداث متعذراً.. ولكن حسبك إضافةً إلى ما تَقَدم أن رئيس الوزراءِ الأسترالي جاء سريعا وفي زيارةٍ خاطفة إلى العـراق.. وكفى بهذا شاهداً...

وتتابعت بعد ذلك العمليات ففي يوم الجمعة **[١٠\ربيع الأول \١٤٢٥ هـ – ٣٠\٤\٢٠٠٤ م]** فجر استشهادي سيارته في الرضوانية وتطايرت أشلاء نحـو ٧٠ جندياً أمريكياً ومن الغد الثلاثاء **١١ \ ١ ربيع الأول** تبعتها أخرى في اليوسفية كان حصيلتها نحو ٥٠ جندياً أمريكياً أثلجت الأخبار صدورنا وقرت بها عيوننا وانفسح أمامنا ميدان الأمل مد البصر بقرب النصر والظفَر.

[في يوم الخميس ٩ \ربيع الأول \ ١٤٢٥هـ - الموافق٢٩\٤\٢٠٠٤ م]

دمر الأمريكان منارةَ المسجد المعاضيدي.

في هذه الليلة – تقديراً- عدتُ برفْقة أبي خطاب وأبي عبدا بعض الإخـوة المصابين منهم.. سامرناهم قليلاً وصلينا العشاء جميعاً ثم قَفَلْنَا عائِدين صـوب الجولان والقصفُ لا يفْتُر فوقَ رؤوسنا، وحلقَت فوقنا طائراتُ الموت الـزؤام، ووقفنا برأس فرع ناءٍ ناحية بيت أبي خطاب على نحو خمسين متـراً، فعقـب علينا مازحاً وقال: هلا أتممتم عملكم وأوصلتموني بـاب البيـت... فاعتَـذَرنا بسخونةِ الأجواءِ وحرجِ الموقف، وتَرجلَ حذِراً يمشي بمحاذاة البيوت، وأطلقنـا سيقان السيارة للريح لحظات وانهالَ قصفٌ كالمطر على الشارع ودمرت ثلاث

سيارات كانت تَعبر فيه.. ومضينا نحن تحت أزيز الطائرات حتى أرفأنا إلى[121] بيتنا سالمين.

من عجائب السنن في الفتن أن المحنة إذا انجلت وانقضت فكأنها لم تكـن، وبدا وكأنها حلم أفاق منه الرائي فصار كأضغاثِ أحلام.

بل هذه هي الدنيا.. حلُم يوشك أن نستيقظ منه على وقْع حقيقةِ الغَيب... وكما قال أحد السلف: "الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا".

أخبرني أبو عبد الرحمن البغدادي بعد الأحداث أنه رأى في منامـه رجـلاً ملثماً يحمل قاذفةً يقاتل مع المجاهدين فسأل: من هذا ؟ فقيل له: هـذا رسـول ا .. فكانت بشارة خير.

اشتد القصف في هذه الليالي جواً وبراً بالطائرات والدبابات والمدافع.. وبـدا أن الأمريكان قد استَكْلبوا بين يدي انسحابهم تغطيةً لجنودهم المنهزمين.. حتـى كان يوم **[السبت ١١٦ ربيع الأول ١ ١٤٢٥هـ - الموافق ١١\٥\٢٠٠٤م]**

في هذا اليوم ابتدأت القوات الأمريكية بالانسحاب، وتزامن انـسحاب الفـوج الخامس من الكتيبة الأولى لمشاة البحرية من الأطراف الغربية الجنوبية للفلوجة مع دخول لواء الجيش العراقي.

ومن الأخبار الطريفة أن الشرطة العراقية في الحي الصناعي تفاجأت بقيـام أحد الجنود الأمريكان بالصياح والـصراخ والبكـاء بحالـة هـستيرية فرحـاً بالانسحاب.

كما وحلقت في هذه الليلة طائرات (ب-٥٢) محدِثَةً دوياً رهيباً.. وهي تـروم – بظنهم – إرهاب المجاهدين وإخافتهم.

---

[121]- أرفأ إليه: لجأ.

وفي محاولات أخيرة فاشلة حصل هجوم على الجولان في نحو (٧,٤٥) واستمر إلى (٨,٢٠) وباء بفضل ا بفشل وانكفؤوا خزايا وندامى..

وفي **[يوم الأحد ١٢ \ربيع الأول ١٤٢٥\ هـ الموافق- ٢٠٠٤\٥\٢ م]**

سمع قصفُ ودوي ثمانية انفجارات قوية في حي الجغيفى والعسكري قبيل الظهر – كما وأُعلِن عن وصول ٧ جثث لـ (البشمركة) إلى كركوك وامتنع الناس الصلاة عليهم.

تتابع الانسحاب سريعاً، وتتابعت جموع العائدين تَتْرى...

وطويت صفحات محنة ومنحة خافضة رافعة.. ارتفع معها بعض الناس فطاولوا عنان السماء وانحط آخرون كانوا فيما مضى بدوراً وأقماراً أو هكذا ظن الناس.. وهذا شأن الفتن وحديث المحن وصنيع الابتلاءات صفَحات لا تنسى أحداثها.. ولا تَنسخ الأيام عبقَها وأريجها في صدور أهل الإيمان.

كانت تجربة فريدة و معجزة خارقة فتحت للنصر كوةً وأحيت للظفر أملاً ... سطرتُها والأرض تحت أقدامنا تمور، والحرب جذَعة[١٢٢] لم تضع أوزارها... تحريت فيها الصدق وآليتُ على نفسي الدقة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .. فما كان من حق فمن ا وما كان بضد ذلك فمن نفسي ومن الشيطان.

تنويه واعتذار:

أسلفْتُ في المقدمةِ أن هذه اليوميات ليس مقصودها الإحاطةَ ولا التأريخ الدقيق بسبب تأخر المواكبة وسرعة موران الأحداث، وإنما شأنها وهدفها أن

[122]- الجذع الصغير السن، والمراد هنا أننا وددنا لو يرجع الزمان إلى الوراء فلا نقع في ما وقعنا فيه."ميسرة"

تضع النقاط على الحروف وأن ترسم الإطار العام لأحداث جسام عظام رأينا أنه من حق أمتنا علينا أن نسطرها.. .. ثم للتاريخ.

وكم من بطل أغفلت ذكره وكم من شهيد سقط اسمه..لأني لـم أعـرفهم.. فمعذرة.. .

وما ضرهم ألا يعرفَهم عمر.. فحسبهم أن ا الكبير يعرفهم...

والصدر من بعد رحيب قابل للنقد والتوجيه... ورحِم ا امرأً أهـدى إلـي عيوبي

وإلى اللقاء في فلوجات أخرى

والحمد رب العالمين...